الجمهـــــورية الجـــزائـــرية الديمقـــراطية الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

المسألة البربرية وأثرها في تفكيك المجتمع الجزائري منطقة زواوة انموذجا (1830م–1930م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر02 في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية (1830–1954)

إعداد الطالب (ة):

– إيناس خليف

– سليمة جندي

إشراف الأستاذ:

د. عمر جبري

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الصفة
أ.د. حمزة إسحاق زيتوني	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. عمر جبري.	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
د. بوبكر صماري	أستاذ محاضر ب	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:2024م–2025م.

* ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في 27 2020

الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(الطالب الأول)

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة): خليف إيناس الصفة: طالب، أستاذ، باحث طالبة

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 134199[illegible] والصادرة بتاريخ 2024.11.13

المسجل(ة) بكلية / معهد العلوم الإنسانية قسم التاريخ

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه).

عنوانها: المسألة البربرية في نصوص من الأدبيات الفرنسية وأثرها على المجتمع الجزائري منطقة القبائل الكبرى نموذجا (1830-1930)

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 03/06/2025

توقيع المعني (ة)

فقط للسيد ... بطاقة التعريف رقم ... صادرة في ... 03 جوان 2025

* ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في 27 ماي 2020 .....

الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(الطالب الثاني)

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة): جندي سليمة الصفة: طالب، أستاذ، باحث طالبة

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 109450830 والصادرة بتاريخ 2024/10/13

المسجل(ة) بكلية / معهد العلوم الانسانية قسم التاريخ

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه).

عنوانها: المسألة اليهودية في نصوص الأديبات الفرنسية وأثرها على المجتمع الجزائري منطقة القبائل الكبرى نموذجا (1930 1930)

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2025/06/05

شوهد لأجل التصديق
السيد: [illegible]
بطاقة التعريف الوطنية رقم: [illegible]
مستخرج بتاريخ: [illegible]
الحاضر في: 05 جوان 2025

توقيع المعني (ة)

رئيس المجلس الشعبي البلدي ومفوض له
ضابط الحالة المدنية
حرود زهير

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان:

بسم الله الرحمان الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف الرسلين

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

في هذا المقام , أتقدم لكم بجزيل الشكر والإمتنان لكل من كان له دورا في إنجاز هذه المذكرة .

أخص بالشكر إلى أستاذي المشرف " جبري عمر" , لما قدمه لي من توجيه علمي ونصائح علمية ثمينة كانت خير عون

لي طيلة فترة إعداد هذا العمل " جزاه الله كل خير "

كما أتوجه بالشكر إلى كافة الأساتذة الذين ساهمو في تكويني الاكاديمي ومساري الجامعي وإلى كل إدارة القسم وموظفيه

على تسهيلهم كل الاجراءات الإدارية والعلمية

واتقدم بخالص الإمتنان إلى كل عائلتي الكريمة , التي كانت سندي ودعمي في جميع مراحل دراستي

فلهم مني كل الحب والتقدير .

دون ان أنسى زملائي وزميلاتي وأصديقائي الذين لم يبخلو عليّ بالنصيحة والتشجيع

فجزاهم الله عني كل خير

وختاما أسأل الله ان يوفقنا جميعا لما فيه خير وصلاح ,وان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

خليف إيناس

شكر وعرفان

قالوا : " الشكر واجب " ، فها أنا أكتبه لا على ورق بل من القلب صادقا خالصا .

إلى من كانوا في رحلة التعب رفقاء

إلى من جعلوا من الطريق نورا لا شقاء ..

أستاذي المشرف " جبري عمر "

كنت اكثر من مجرد دليل علمي

كنت المعلم والمحفز والملهم

لك مني الف تقدير و سطر من عرفان لا ينتهي .

إلى أمي و أبي

إن كان في هذا العمل من خير فانتم سببه

دعاؤكما كان الجسر الذي عبرت عليه الصعاب

إلى إخوتي وأصدقائي ،

من سهروا معي وشجعوني أو حتى اضحكوني في عز الضغط

شكرا لان الحياة كانت اخف بجانبكم

وأخيرا إلى كل من مرّ بي وترك في نفسي اثرا جميلا .

هذا الإنجاز ليس لي وحدي , بل هو لنا جميعا .

جندي سليمة

إهداء:

...إلى من علّمني كيف أزرع الصبر وأسقيه بالأمل

...إلى من لا تُكافئه الكلمات، بل تُعانق دعواته السماء

.إلى أمي، التي كان قلبها محرابًا صلت فيه ألف مرة كي لا أسقط

.إلى أبي، ظلّي في تعب الأيام، الذي حرس تعبي بحلمه ورضاه

.إلى روحي التي قاومت الإنطفاء، كلّما اشتد الظلام أمامي

...إلى أنفاسي في قاعات الدراسة، إلى قلقي قبل الامتحان، إلى دموعي التي رفضت أن تسقط كي لا أنكسر

.أهديكِ يا ذاتي هذا الإنجاز، فقد كنتِ الأوفى

إلى صديقتي وشريكة خطواتي، سليمة، التي كانت صدى قلبي في الطريق الطويل،

.أقسم إن النجاح لولاكِ، ما كان له أن يُولد في هذا الحرف

إلى من مرّوا مرورًا عابرًا، وتركوا في القلب ذكرى جميلة،

...وإلى من بقوا، وكانوا وطنًا أستريح فيه من تعب المسير

...أهديكم هذه اللحظة، هذه الورقة، هذا النور

.لعلّه يخلّد شيئًا من تعبنا

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

***

خليف إيناس

إهداء:

إلهي لا يحلو الليل إلا بذكرك، ولا النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلا بقربك، ولا الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا بلقائك، فالحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى...

رجوتُ كريمًا وثقتُ بصنعه، وما كان من يرجوالكريم يُخيبُ

إنها نهايات التعب وبدايات الفرح

إلى ذاتي الطموحة التي قاومت وصبرت، إلى التي أنهكها التعب لكنها لم تهزم، إلى التي آمنت بأنها تستحق الوصول ...أُهديك هذا العمل فخرا لصبرك وإصرارك...سنوات مضَت، حملتُ فيها من الهم أكثر مما يُقال وسجدت لله مرات لا تحصى وانا أطلب منه فقط أن أصل...وها أنا اليوم اصل...وأرفع يدي شكرًا لمن كانا النور في طريقي..أُمي وأبي..

إلى من قال فيهم عزوجل:"وإخْفض لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَحْمَة وقُل ربّ ارحَمْهُمَا كمَا ربّياني صغِيرا."

إلى من جعل الجنة تحت أقدامها، إلى ملكة قلبي ورفيقة دربي، إلى التي أوصاني الرحمن بها بِرّا وإحسانًا، إلى التي لولا دُعاؤها ما نِلتُ نجاح اليوم، إلى الانسانة العظيمة التي لطالما تمَنَّتْ انَ تَقُرّ عينُها في يوم كهذا، فكُلُ ما انا عليه اليوم هو بفضلك بعد الله....أُمي ثم أمي ثم أمي الغالية –حفظك الله–

إلى من جعلني أدرك أن الحياة صراع، وسلاحها العلم والمعرفة، الى من كان صوته طمأنينتي وظله أماني، إلى الذي أنار دربي والسراج الذي لا ينطفئ نوره بقلبي إلى سندنا في الحياة، إلى الذي أكن له كل التقدير والاحترام ... إلى فخرى واعتزازي ...أبي –الغالي–

سندي الأول ورفيقي في كل لحظة تعب

اهديك ثمرة هذا النجاح بكل فخر وإمتنان دعواتك

أسأل الله أن يحفظك لي ويطيل في عمرك ويجازيك عني خير الجزاء

إلى من شد الله بهم أزري، فكانوا عضدي في كل خطوة، إلى وطني وعالمي إلى الكتف الذي استند عليه دائما "أيوب"،"حمزة"

وإلى زهرة عمري، وقرة عيني ،صغيرتي "زينب"

حفظكم الله لي

إلى أنيستي، مؤنستي ،رفيقة الدرب والكفاح ،إلى التي علمتني أن الوفاء لا يكون إلا في الصديق، ما كنا لنصل لولا تشاركنا الصدق والعمل والإرادة، صديقتي وأختي "إيناس" لك نصف هذا النجاح ،ونصف الإمتنان...

إلى أولئك الذين نقشوا أحلامهم بين جدران الجامعات ،وحملوا دفاترهم وكتبهم وآمالهم العريضة على دروب العلم والمعرفة...

إلى طلبة غزة ،الذين رحلوا قبل أن تكتمل فصول الحكاية،وقبل أن يُنادي بأسمائهم في يوم التخرج ..فغابوا عن مقاعدهم، لكنهم ظلّوا حاضرين في القلوب،شموعا لا تنطفئ،تضيء سماء الكرامة والعزّة..

فسلاما على أرواحهم الطاهرة.."نسأل الله أن يجعلهم في عليّين،في دار لا فراق فيها ولا ألم،حيث الرحمة والرضا ،وحيث النعيم المقيم"

إلى من أشاركهم لحظاتي ..إلى من أفاضني بمشاعره ونصائحه ...عائلتي...

إلى التي هي أختي وضلعي الثابت ابنة الخال –صورية–

فالحمد لله الذي تنسج بتحقيق فضله الغايات، وتختم المسيرات بنور توفيقه، وتقطف الأحلام تحت ظل عنايته وكرمه

فمن قال أنا لها نالها ،وأنا لها وان ابت رغما عنها اتيت بها

أهديكم جميعا هذا النجاح...

–جندي سليمة–

قائمة المختصرات:

صفحة	ص
الجزء	ج
الطبعة	ط
العدد	ع
المجلد	مج
الترجمة	تر
دون سنة	د س

مقدمة:

مقدمة:

سعت فرنسا الاستعمارية إلى فرض سيطرتها على الجزائر، أرضًا وشعبًا، مستخدمةً في ذلك مختلف الوسائل القمعية والعنصرية، إلى جانب أدوات إيديولوجية ودينية وفكرية وسياسية تهدف أساسًا إلى طمس الهوية الوطنية للجزائريين وتفكيك نسيجهم الاجتماعي من الداخل، عبر زرع الفتن وإثارة الانقسامات بين مكونات المجتمع العرقية والاجتماعية. غير أن هذه السياسة واجهت مقاومة عنيفة من الشعب الجزائري، ما جعل فرنسا تعجز عن تنفيذ مخططاتها بالكامل. فقد كانت سياساتها تستهدف بالدرجة الأولى الهوية الإسلامية والوحدة الوطنية، لكنها اصطدمت برفض واسع، سواء على المستوى الشعبي أو السياسي.

وان هذا المجال يقودنا للحديث عن المسألة البربرية باعتبارها مشروع فرنسي يكشف أبعاد سياسية عميقة تتجاوز الطابع الثقافي والقومي، ففرنسا في كل مرة حاولت محاربة العنصر العربي والإسلامي ونشر الفكر الفرنكونوني، لذلك قررت أن تكون الانطلاقة من منطقة الزواوة، على غرار باقي مناطق الجزائر، وهذا كونه يرجع لأسباب متعددة منها قابلية اختراق المجتمع القبائلي ثقافيا ولغويا، ودينيا، وكذلك للطابع الاستراتيجي لجغرافية منطقة الزواوة وتنوع مكوناتها الثقافية أيضا.

كما أن السياسة البربرية ليست بسياسة جديدة كما يضن الكثيرون، بل هي سياسة قديمة للاستعمار الفرنسي في منطقة شمال إفريقيا، حيث أصبحت منطقة القبائل عبارة عن مسرح للأحداث و للتجارب، والمشاريع الفرنسية خلال نهاية القرن التاسع عشر، وأصبح عامل للتفرقة بين الجزائرين هو العنصر المهم تطبيقا لقاعدة فرق تسد، وعلى هذا الأساس كانت دراستنا للمسألة البربرية منحصرة في منطقة القبائل باعتبارها بداية لمشروع المستعمر الفرنسي بالجزائر.

يتّضح من ذلك أن المسألة البربرية لم تكن مسعى معزولًا، بل شكّلت جزءًا من المخططات العامة التي تبنتها فرنسا، سواء على مستوى سياستها الخارجية أو في سياق مشروعها الاستعماري في الجزائر. وترجع جذور هذه المسألة إلى ما قبل الاحتلال الفرنسي، أي إلى القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر، كما يتجلى ذلك في ما ورد في الأدبيات الفرنسية وتقارير القناصل الأوروبيين حول أوضاع الأسرى الأوروبيين في الجزائر. وانطلاقًا من هذا المعطى التاريخي، فإن تناولنا لهذه المسألة يستند إلى مقاربة موضوعية قائمة على الفهم الذاتي، والرؤية المتجردة من الأحكام المسبقة والانحيازات الأيديولوجية .

ففرنسا ومن خلال العهود السابقة لم تستطيع ممارسة سياستها الاستعمارية كون الجزائر في تلك الفترة تمتلك قوة بحرية قوية ممثلة في الأسطول البحري الجزائري، ما سيلحق خسائر على الجيش الفرنسي، كما

أولت فرنسا لسياستها الاحتفالية في الجزائر اهتماما لمنطقة القبائل لأنهم يرون في سكانها الأكثر تقبلا لهذه السياسة لخصائصهم الاجتماعية المتميزة من لغة وعادات وتقاليد.

فركزت الأدبيات الفرنسية على ضرورة إبراز خصوصيات البربر التي تميزه عن العنصر العربي، وحتى اعتبروا إسلامهم إسلاما سطحيا وإن تنظيمهم الاجتماعي يسهل فرنستهم واستلابهم ثقافيا ودينيا، ولذا لابد من التركيز على عاداتهم، كذلك كثفوا جهودهم من أجل إنجاح السياسة البربرية لتكون تجربة ناجحة يمكن تعميمها على باقي مناطق الجزائر، حيث أن هناك فئة فرنسية تسمى "الضباط المتبربرين" هدفها دعم هذه المسألة البربرية، لذلك يمكن اعتبار هذه المجهودات المبذولة ضمن إستراتيجية استعمارية خطيرة العواقب، بالتالي أصبحت الجزائر لعبة جديدة للاستعمار الفرنسي في محاولة منها لزعزعة كيان المجتمع الجزائري وتفكيك المؤسسات الثقافية والدينية.

لم يكن الاستعمار الفرنسي للجزائر أبعاد سياسية واقتصادية فقط، بل اتخذ أيضًا طابعًا دينيًا وأيديولوجيًا عميقًا. فقد حاولت فرنسا فرض مشروعها الاستعماري عبر مسارين متوازيين: "الفرنسة" و"التنصير"، مستندةً في ذلك إلى برامج مدروسة تهدف إلى تفكيك وحدة المجتمع الجزائري. ومن أبرز هذه الأساليب زرع العنصرية وبثّ الفرقة بين المسلمين، تحت غطاء "الثقافة الغربية" التي تم تقديمها على أساس أمازيغي–مسيحي ، في محاولة منها لعزل الأمازيغ عن محيطهم الإسلامي والعربي. وعملت فرنسا على توظيف هذه المقاربة الثقافية والدينية لخدمة مشروعها الاستعماري، ففرنسا منذ أن وطأت أقدامها أرض الجزائر الطاهرة بدأت بدراسة اللهجات المتداولة في الجزائر من طرف وزير الحرب الفرنسي الذي أعطى الأمر لجيسلان Geslin للقيام بهذه المهمة، ويمكن اعتبار هذه الأزمة البربرية هي من ضمن القضايا العويصة التي تشغل فكر الرأي العام في الجزائر وأصحاب هذه الأزمة لن يهنئ لهم بال حتى ترتمي الجزائر في أحضان الاستعمار من جديد، لقوله تعالى:" ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم"، (سورة البقرة الأية 202).

لقد استغلت فرنسا المسألة البربرية لتحقيق أهدافها وخدمة أجندتها الخاصة، فهدف فرنسا هو نشر الثقافة الفرنسية عن طريق إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية وأيضا العمل على تنصير اكبر قدر ممكن من الجزائريين على أن تكون الانطلاقة الحقيقية لهذا المشروع من منطقة القبائل التي كانت من قبل مركز إشعاع ديني، فكان هناك عنصرين قامت عليهما هذه السياسة هما طمس مبادئ الدين الإسلامي وإضعاف الوحدة الوطنية وترسيخ هيمنتها على المنطقة، فاستغلت فرنسا التنوع الثقافي في المنطقة بما فيه الهوية الامازيغية لزرع الفتنة وتقسيم المجتمع الجزائري.

الإشكالية الرئيسية

كيف تمكن المستعمر الفرنسي من نشر مشروع المسألة البربرية بالجزائر لتفكيك مجتمع منطقة الزواوة، ثقافيا واجتماعيا خلال قرن من الاحتلال(1830م –1930م)؟.

وتتفرع حول هذه الإشكالية الرئيسية عدة إشكاليات فرعية هي:

الإشكاليات الفرعية:

- **كيف تطرقت النصوص الفرنسية لقضية تنوع اللغات وعدم وجود لغة موحدة في منطقة القبائل؟.**
- **هل تمكنت الإدارة الفرنسية من فرنسة منطقة الزواوة والاستيلاء عليها ؟.**
- **لماذا تم تركيز الدراسات الفرنسية على عادات وتقاليد المجتمع القبائلي خلال هذه الفترة 1830م–1930م؟.**
- **ما أسباب تخصيص فرنسا لمنطقة الزواوة دون غيرها من المناطق الأخرى في الجزائر؟.**

دوافع إختيار الموضوع :

الرغبة الشخصية في دراسة قضية الهوية و الوحدة الوطنية ومشاريع التقسيم الفرنسي في الجزائر .

التوجيهات الشديدة للمشرف على الموضوع الذي وضع بين أيدينا كتب علمية وتاريخية حول الموضوغ

أهمية الموضوع :

ويعتبر هذا الموضوع من بين المواضيع الهامة التي تعالج الواقع الراهن ، حيث لازالت أثاره الثقافية والإجتماعية إلى غاية اليوم ، كما ان هذا الموضوع يعتبر مجال خصب للدراسات التاريخية الجادة والجديدة بطرحه من زاوية أخرى، تعتبر المسائل اللغوية والدينية والإيديولوجية من بين المواضيع الهامة خلال وبعد نهاية الاحتلال الفرنسي للجزائر.

مناهج البحث:

اتبعنا في دراستنا لموضوع الدراسة في مختلف فصوله ومباحثه على المنهج الوصفي السردي للأحداث التاريخية كون العملية التاريخية عملية استردادية للأحداث مع المنهج التحليلي النقدي في بعض المحطات للإبراز شخصية الباحث وهذا ما كان في التعليقات الموجودة في المتن والهامش.

وقد إعتمدنا في دراستنا على بعض الدراسات السابقة لتحليل هذا الموضوع جيدا أهمها:

سعيدي مزيان : السياسة الإستعمارية في منطقة القبائل وموقف السكان منها 1871_1914.

بوعزة بوضرساية : سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830_1930 وإنعكاساتها على المغرب العربي .

خطة البحث:

الفصل الأول: بوادر ظهور المسألة البربرية في الجزائر ومنطقة الزواوة

1. المبحث الأول: الجذور التاريخية للأمازيغ

1 . أصل التسمية.

2. اصل الأمازيغ.

2 .المبحث الثاني: الخلفية التاريخية لمنطقة القبائل وأهميتها الثقافية والجغرافيا في الجزائر.

1.الموقع الجغرافي.

2.أهميتها الثقافية.

الفصل الثاني: الأسطورة القبائلية بين النشأة و التفعيل

1.الأسطورة عند السياسيين .

2.الأسطورة عند العسكريين .

3.الأسطورة عند رجال الدين .

4.الأسطورة في متون الدراسات البربرية .

الفصل الثالث: مساهمة الإدارة الفرنسية في التأسيس للاديولوجية البربرية بمنطقة الزواوة .

المبحث الأول: الأدبيات الفرنسية التي تناولت المسألة البربرية .

1 . مفهوم المسألة البربرية من خلال الأدبيات الفرنسية .

2 . المسألة البربرية كفكرة استعمارية (بداية المسألة البربرية في الجزائر)

المبحث الثاني :تطور المسالة البربرية في الجزائر .

1 . أسباب المسألة البربرية.

2 . أهدافها.

الفصل الرابع: انعكاسات المسألة البربرية على المجتمع القبائلي والجزائري .

المبحث الأول :احتلال فرنسا لمنطقة الزواوة ومقاومتها .

1 .توظيف الأدبيات الفرنسية في منطقة الزواوة.

2 .رد فعل سكان الزواوة على الاستعمار الفرنسي .

المبحث الثاني:آثار المسألة البربرية على منطقة الزواوة وعلى الجزائر .

1 .على الزواوة .

2 .على الجزائر .

-الخاتمة.

-الملاحق.

-قائمة المصادر والمراجع(البيبليوغرافيا).

-فهرس المذكرة.

الفصل الأول:بوادر ظهور المسألة البربرية في الجزائر ومنطقة القبائل.

1 .المبحث الأول: الجذور التاريخية للأمازيغ

1 . أصل التسمية.

2 .أصل البربر.

2 .المبحث الثاني: الخلفية التاريخية لمنطقة القبائل وأهميتها الثقافية والجغرافية في الجزائر.

1 . الموقع الجغرافي .

2 . أهميتها الثقافية.

3 . أوضاع منطقة القبائل قبل الاحتلال الفرنسي 1830 .

الفصل الأول: ملامح ظهور الأزمة البربرية في الجزائر ومنطقة القبائل.

المبحث الأول: السياق التاريخي لمنطقة القبائل.

1.أصل تسمية البربر.

لمعرفة التسمية الحقيقية لسكان المغرب قديما يتطلب منا تقديم كل أو معظم الأراء ، لأن المصادر التاريخية مازالت عاجزة لإقناع القراء بالأصول الأولى لسكان البربر. فكلمة بربر مثلا سماهم بها الرومان فورثوها عن اليونان ، ويقال أن مصدرها الأول هي الكلمة اليونانية " فارفاروس varvaros "التي تعني اللفظ وتداخل الأصوات في الكلام . وبذلك فهم يطلقونها على كل الذين لا يتكلمون لغتهم ومنهم أطلقوا على إيطاليا إسم بربار يا [1].

وتشير كلمة أمازيغ إلى الإسم الذي تسمى به البربر أنفسهم , فمؤنث أمازيغ هو تامازيغت كان يطلق على المرأة ولقبهم ب " التوارك " المنتشرة في الصحراء ، وبحيث تستعمل لضة اماهغ بقلب حرف الزاء الى هاء عند التوارك الجزائريين وبقلب حرف الشاء فتصبح أماشغ عند التوارك الماليين وتقلب جيما فتصبح أماجغ عند التوارك النيجيريين وأحيانا تستعمل كلمة إمازيغن يعني الرجال الأحرار [2] .

إن أصل الأمازيغ أثار جدلا واسعا كما هو الحال بالنسبة لكل ماهو بربري ، فلا يوجد لكلمة البربر أصل ، فالبربر كانو مشهورين في التاريخ القديم بالبتر والبرانس أكثر ماكانو مشتهرين بتسمية البربر، فسماهم اليونان باسم النوميديين .[3]

[1] الدراجي بوزياني : القبائل ألأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها ، جزء 1 ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007 ، ص ص 13 – 14 .
[2] بوزياني: القبائل الامازيغية أدوارها مواطنها أعيانها ، المرجع نفسه، ص 23 .
[3] عثمان سعدي: البربر الامازيغ عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ ، دار الأمة ، برج الكيفان ، الجزائر، 2018 ، ص 78 .

ويرى جميع المؤرخين سواءاك انو عربا أو أوروبيين أن البربر لا تعتبر تسمية أصلية ذات عرق والمرجع أنه أخذ من مطلع روماني الذي كان يطلع على جميع الشعوب المختلفة بمعنى أن كل ماهو غير روماني فهو بربري سواءا في إفريقيا أو أوروبا ، والغريب أن بعض المؤرخين الأوروبيين وجدو فرق بين الكتابة في التسمية الرومانية وبين الكتابة في تسمية البربر ، فقاموا بإستبدال الحرف Aفي كلمة BARBARE بحرف Eفأصبحت BERBERE وضعوا هذا الإختلاف في الحروف لإنفصال البربر عن العرب ، ولو كان لهذه التسمية ذات مضامين عرقية لقام بالإحتفاظ عليها البربر حتى بعد الإسلام .[1]

وبمعتقد آخر يرى بعض المؤرخين او الباحثين أن أصل تسمية الأمازيغ قديمة عادت إلى العهد الفرعوني أو الإغريقي ، ودلت بعض الأبحاث على إستعمال كلمة قريبة من الأمازيغ . حيث وردت هذه الكلمة من طرف المؤرخ اليوناني " هيكاتوس" فسميت فئات منهم ب »« MAZYESوهي قريبة من كلمة أمازيغ ، أما هيرودوتس سماها ب: ماكسيس نقلها عن اللاتينيين أما النومديين سموها ب: مازيكس .[2]

ونستعرض أيضا بعض التسميات من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب المتواجدة في الإمتداد الجغرافي:

-بدو يسرة : من صحراء مصر.

-زواوة : غرب ليبيا .

-الشاوية : سكان الشرق الجزائري نسبة الى الشاة (يربون الشاة) وكذلك صحراء الشام

-الطوارق : جبال الهقار أقصى جنوب الصحراء

-الميزابية : منطقة غرداية بالجزائر

[1] سعدي : المرجع السابق، ص 19 .

[2] ابوزياني: المرجع السابق ، ص 16 .

-القبائل : تسمية عربية وهي جمع قبيلة .

-الروايف : منطقة الريف .[1]

فهذه التسميات جميعها لم تكن صدفة جغرافية خالية من اية مضامين عرقية وإنما لها أصل في الواقع والتاريخ وألأن في أقطار الشمال الإفريقي لا يعرف معنى كلمة بربر ومدلولها التاريخي إلا من تعلم وقرأها في الكتب . وهذا له دلالته فالبربرية من خلق غرباء عما يسمى بالبربر دخلاء عليهم وهدفهم ليس لخدمة التاريخ لأن التاريخ ينكر وجود البربرخارج اطار الأمة العرقية وإنما هدفهم تمزيق الشعب الجزائري خاصة والمغرب العربي عامة . وفصلها عن المشرق والأمة التي تنتمي اليها هذه الشعوب ، ومما يؤكد ذلك أن المسألة البربرية أو النزعة البربرية جاءت مع بداية الاحتلال الفرنسي 1830 ، وأن أدبياتها الهزيلة لا توجد إلا بالفرنسية ، وأن دعاتها من الجزائريين والمغاربة هم مجرد تلامذة لاساتذة الإستعمار الفرنسي.[2]

وبالنسبة لهذا الإسم فلقد أجمع الباحثون أن كلمتي بربر وبربار تعنيان إما اللغط والرطانة والضوضاء أو الهجمية والقسوة والجهل ، وعلى هذا لم تكن هذه التسمية في يوما ما صحيحة ، ولما حاول " بوسكي G.H.BOUSQUET" في كتابه البربر LES BERBERèRES في تفسيره لكلمة البربر حيث قال انها مشتقة من كلمة " باربروس BARBARUS " من اللاتينية التي تعني بها الفئات التي ليست خاضعة لسلطة الرومان .[3]

ويذهب كل من " اغزال GSELL " و " غوتي GAUTIER " أن لفظ البربر مشتق من برباري " BARBARI " وهو لفظ تم تداوله في لفة أها المدن الناطقين بالاتينية بعد ان إختلطو بهم

[1] عثمان سعدي : البربر الامازيغ ، المرجع السابق ، ص80 .
[2] سعدي : نفسه، ص ص 80-81 .
[3] الدراجي بوزياني : القبائل الامازيغية ، المرجع السابق ، ص 18 .

العرب فأخذوا منهم هذا الإسم وعمموه بشيء من التحريف .[1] أما الإسم الحقيقي عند " غابريل كامبه " فهو الأمازيغ الوارد عند هيرودوت نفسه بصياغة المازيس .[2]

تذكر بعض الروايات أن امازيغ هو اللقب الذي يطلق على سكان شمال إفريقيا القديم باعتباره أنه إسم لجدهم وهي الأحرار والنبلاء .[3]

فالبرغم من هذا الإعتراف بوجود إسم الأمازيغ من قبل المستشريقين ، إلا أنه سيترك جانبا وسيفرض اسم " LES BERBèRES " كإسم شامل لكل المجموعات البشرية المستعملة للغة ألأمازيغية . وهذا ما عبر عنه " ايرنست رينان " حيث قال أن اسم البربر هو الأنسب لتسمية كل هذه المجموعات البشرية .[4]

2.أصل البربر :

إن تكون الشعب الامازيغي يظل قضية شائكة في كل النواحي شرقا وغربا. [5]

كتب الكثير في هذا الباب وملخص ما كتب معظم المؤرخين ان اصل البربر يماني اي من (العرب العاربة) الذي لم يكن لهم قط عهد بالعجمة، وعلى نهجهم سار المنظرون للاستعمار الفرنسي الاستيطاني ، فزعموا ان البربر خاصة الشقر والبيض والنتائج الأولى التي وصلت اليها البحوث ان سكان افريقيا الشمالية لهم

[1] عبد الحميد برقية : الإستشراق الفرنسي للجزائر 1879-1962 دراسة تاريخية فكرية أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في الطور الثالث ، شعبة التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة 08 ماي 1945 ، قالمة ، 2021\2022 ، ص 277 .

[2] غامبريل كامبه : البربر ذاكرة وهوية ، ترجمة عبد الرحيم حزل ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2014 ، ص 18 .

[3] الدراجي بوزياني : المرجع نفسه، ص 19 .

[4] الحسن بويعقوبي : المعرفة السلطة في السياق الكولونيالي بالمغرب والجزائر ، مجلة دراسات الامازيغية ، تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة إبن الازهر ، المغرب ، 2018 ، ع 2 ، ص 35 .

[5] العربي عقون: الامازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الاصول والهوية ، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط01، 2010 ، ص 19.

صلة وقرابة بالإنسان الذي يستقر بهذه الأماكن، وعلى هذا تجاهل الامازيغيون اسم البربر في لغتهم منذ العصور واحتفظوا باسمهم الأصلي" ايمازيغن".[1]

فذهب المؤرخون في نسبة اصل سكان المنطقة فمنهم من قال انهم ساميون واخرون حاميون واخرون ايرون ، وعلى الرغم مما تم اعداده من كتب ودراسات متباينة في العديد من العهود فإنها لم تفصل في حقيقة الاصول ،وهذا ما ذهب اليه المؤرخ محمد مبارك الملبي في قوله "الحديث عن اصل البربر من اكثر الاحاديث الاحدث اخلاقا " فبحث فيه المؤرخون حديثا وقديما فأطالوا البحث عليه الا انهم لم يتحصلوا الى على روايات متجادلة فيما بينهم ولهم في البحث طريقان طريق المتقدمين جاءوا من اليونان والرومان والعرب يقدمون على الرواية والنقل . اما الطريق الثاني طريق المتأخرين الافرنج يعتمدون على الدراسة والنظر الى اللغة. وملخص ابحاث هذه الطائفة ان البربر ليسوا امة مستقلة وانما مزيج بين الامم الشرقية والاوروبية وسوف نتحدث عنهم بالتفصيل فيما يلي .[2]

.1**الأصل الأوروبي** :يذهب البعض من العلماء ان البربر اصل اوروبي اي من الاصل اليافتي نسبة الى يافت بن نوح عليه السلام ،خرجوا من الهند ومروا بفارس واجتازوا شمال اوروبا من فينلندا الى اسكندنافيا ثم بريطانيا ثم اسبانيا ،يستبدلون بأسماء قبائل الكيماريس بفينلندا والسويد وبني عمارة في المغرب وخميس بتونس ،فالأسماء متشابهة فيما بينها .

.2**الأصل السامي**: ان معظم المؤرخين يذهبون الى ان البربر من اصل سامي من ابناء سام بن نوح عليه السلام في الجزيرة العربية ،فكانت اليمن مهد لأبناء سام مختلطين مع ابناء اعمامهم (ابناء حام)فلما

[1] محمد شفيق: تاريخ الامازيغيين ثلاثة وثلاثون قرن من تاريخ الأمازيغ، منشورات المحافظة السامية للأمازيغية، المملكة المغربية،1988، ص19.
[2] عثمان الكعاك: البربر، د.س، د.ب ، ص ص50،51.

تغيرت احوال الطقس واشتدت الحرارة فافترق سكانها فانتقل الفرع السامي من البربر والحبشة وقدماء مصر الى افريقيا.

.**3.الأصل المزدوج** : ويذهب فريق ثالث إلى ان البربر ينسبون الى سلالتين ،فالسلالة الأولى هي الهندية الأوروبية التي جاءت من أسيا إلى إفريقيا ثم إلى أوروبا .ثم السلالة الثانية سامية، التقت هاتان السلالتان بالمغرب وهذا ما جعل بينهم اختلاف في الخصائص البشرية عند البربر في لون الشعر ولون العيون وشكل الجمجمة وحتى اللهجات .

المبحث الثاني: الخلفية التاريخية لمنطقة القبائل وأهميتها الثقافية والجغرافية في الجزائر .

1. الخصائص الجغرافية للمنطقة

1.1الحيز الجغرافي والطابع التضاريس :

-تقع منطقة القبائل الى الشرق من مدينة الجزائر وتمتد على ساحل البحر من وادي سيباو الى وادي اغريون ، وتحدها من ناحية الجنوب هضاب سطيف وجبال البيبان وسهول عريب ومضايق الاخضرية، تؤلف مساحة 15000 كيلو متر مربع تمتد من الغرب الى الشرق على مسافة 150كلم ،وعمقها من الشمال الى الجنوب يتراوح بين 70الى 100كلم .[1]

1..2 الخصائص الجغرافية : تنقسم الى قسمين :

[1] DAUMAS.(Eugene)et FABAR(Michel),LA GRANDE Kabylie, étude historique, Ed Hachette Paris,1847,p.3.

انظر كذلك:نصر الدين سعيدوني، مدونة المدن والأقاليم الجزائرية مادة "بلاد القبائل"، نقلا عن مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871م_1914م)، المرجع السابق، ص 40.

1.يقع الى الجنوب من سلسلة جرجرة ويتوغل الى جبال البيبان جنوبا، ويضم هذا القسم بين ثنايا حوض وادي الصومام (الساحل)، التي تنتشر فيه النزاعات المختلفة ويعرف بالقبائل الصغرى (الشرقية).

2.الشريط الساحل الممتد بين البحر شمالا وسلسلة جبال جرجرة جنوبا ويضم هذا القسم مظهرا تضارسيا متميزا ،يتمثل في حوض وادي سيباو بتسمية العلوي والسفلي، ايضا تتركز فيه مختلف انواع النزاعات وهذا السهل ينحصر بين السلسلة الساحلية والكتلة المركزية لجبال جرجرة وعرضه حوالي 3كيلو مترات وهي ما تعرف بالقبائل الكبرى (الغربية).[1]

هذه من التقسيمات التي انتشر استعمالها في الفترة الاستعمارية من اجل تقسيم المجتمع الجزائري.[2]

3.1 اشكالها التضاريسية : جبلية بالدرجة الأولى ويمكن تقسيمها إلى 4

1 المنطقة الوسطى : تضم جرجرة وكل مرتفعات منطقة القبائل، يحدها شمالا وشرقا حوض سيباو، ومن الغرب والجنوب منخفض ذراع الميزان، فهي قلب المنطقة .

2 المنطقة الشرقية: مرتفعات جبلية غابية تمثلها غابة اكفادو الكثيفة مع مرتفعاتها اوجدت حاجزا بين قبائل جرجرة وقبائل منطقة البابور .

3 المنطقة الساحلية. تمثل الامتداد الافقي للمنطقة السابقة مع خاصية مختلفة قليلا.

[1]MAHE(Alain),Histoire De La Grande Kabylie19eme_20eme siècles, Anthropologie Historique Du Lien Social Dans Les Communes Villageoises, Ed Bouhene ,Paris, 2001,p,21.

نقلا عن: مزيان سعيدي: المرجع سابق، ص 41.

[2]محند آكلي آيت سوكي: تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية بين القرنين10_13ه/16_19،مذكرة ماجستير،إشراف أ.د.عمر بن خروف،قسم التاريخ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، بوزريعة، 2005_2006، ص17.

4المناطق الغربية: تمثلها سلسلة رئيسية لها شكل متنازل وينخفض سقوطها تدريجيا نحو هضاب منطقة الساحل .

5 السلسلة الجبيلبة الوسطى : تضم المرتفعات المحدودة من شمال بحوض سيباو وغربا وجنوبا بمنخفض ذراع الميزان انها قلب منطقة القبائل، تمثلها جبال جرجرة على طول 60كم من تيزي جعبوب (1185م)غرب الى تيزي نشريعة شرقا (1231م)اطلق عليها الرومان تسمية (montferatus) اي جبل الحديد.

تنقسم السلسلة الى قسمين متباين تفصل بينهم قمة لالة خديجة (2308م)وبها عدة قمم اهمها قمة ازرقونن (2209م)وقمة حيرز(2066م).[1]

يوجد بها ممرات جبلية تسمح بعبور هذه السلسلة الجبلية ومنطقة عبورها يطلق عليها اسم باب (ثابورث)مثال .لاالحصر ممر تيزي بولمة 1686م يعبر اليه عبر ثابورث اث ايرقن وتيزي نصوال 1741م

-تعتبر مرتفعاتها الجبلية massif kabyle الاكثر اهمية بمنطقة القبائل تتجه نحو الشرق تمثلها مرتفعات زواوة (اقاواون)التي تشمل البلديات المختلفة لجرجرة والاربعاء ثاث ايراثن اهم قممها :

-مرتفع جرجرة 1395م .

-ثيفردوث(اث بويوسف)1197م .

-سوق السبت (فوق ميشيلي /عين الحمام)1232م .

[1] DAHMANI(Mohamed),Atlas Economique Et Social De La Grande Kabylie, P U F, Alger,1990,p. 11.

نقلا عن مزيان سعيدي: المرجع السابق، ص43.

-اقمون قيزم 1037م .

-ايشريدون اث ايراثن1065م .

-مرتفع ابو ديب (اث ايراثن)1038م .

-فورناسيونال (ان ايراثن)974م .

يضاف الى هذه المرتفعات الجبلية لمعاتقة massif de maatka بين وادي عيسى وبوقدورة التي تمتد من الشرق الى الغرب .

-مرتفعات فليسة في الغرب massif deflissa[1]

اما جهتها الشرقية بها سلسلة رئيسية اكفادو تمتد من الجنوب الى الشمال مغطاة بغابات من الفلين والزان لا تتجاوز قممها 1400م، اما شمالها قممها تتصدر الجهة اليمنى وايضا الطريق العابرة للمنطقة والتي تربط بجاية بتيزي وزو .

7 السلسلة الجبلية الشرقية: تمثلها كتلة مرتفعات اكفادو وهي حاجز بين قبائل جرجرة والبابور معدل ارتفاعها 1400م تتجه من الجنوب الى الشمال اهم قممها اكفادو 1385م تعتبر هذه السلسلة الطريق الرابط بين تيزي وزو وبجاية .

8 السلسلة الجبلية الغربية :تنحصر بين مرتفعات يسر والمرتفعات الشرقية لسهل متيجة متوسط ارتفاعها بين 700-800م بها ممرات جبلية هامة منها ممر بني عيشة (الثنية)[1]

[1]FICHEUR(e) ,Notice Géographique et Géologiques Sur La Kabylie, Ed Challamel, Paris,1892, p.p.08-09.

نقلا عن مزيان سعيدي: المرجع السابق، ص 44.

9 السلسلة الجبلية الساحلية :تمتد من الغرب الى الشرق تبعد عن الساحل في خط متوازن (7-9كم)ارتفاعها بين (900-1200م)ابرز قممها قمة تامغوت 1278م.[2]

-اما السهول فان المنطقة فقيرة جدا ويتمثل الموجود منها في بعض الاحواض الداخلية اهمها .حوض سيباو وحوض وادي الصومام الذي يمثل منطقة نموذجية للفلاحة لخصوبته وكثرة مياهه وهو همزة وصل بين الشمال والجنوب، اضافة الى احواض داخلية مثل حوض ذراع الميزان والى الغرب منها تلال وسهول يسر وذراع بن خدة .[3]

10 السلسلة الجبلية الغربية :تمتد بين هضاب يسر والمرتفعات التي تحد الجهة الشرقية لسهول متيجة يتواجدبها مرتفع جبلي يتميز بخصائصه الجيولجية به ممر رئيسي هو ممر بني عيشة (الثنية)سلسلة جبلية طويلة تمثل جبل بوزقزة 1033م.

كما نجد بها المنخفض الكبير لذراع الميزان الذي عرضه بين 3-4كم والمعروف بحوض ذراع الميزان تتخلله بعض المجاري المائية .

2.2 المظهر الهيدوغرافي (المجاري المائية).يتشكل أساسا من:

1**-وادي يسر** : ينبع من جبال التيطري على ارتفاع 1200 م بالقرب من البرواقية ويصب بالقرب من مدينة دلس طوله 230كم .

[1]FICHEUR: op.cit, p.p. 22-25.

نقلا عن مزيان سعيدي: المرجع نفسه، ص 45.

[2] FICHEUR ;Ibid: p.p. 14-15.

نقلا عن سعيدي مزيان: المرجع نفسه، ص46.

[3] يحي بو عزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ج 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985، ص 20.

من روافده وادي جمعة المحيط بمرتفعات الأخضرية وينعرج بسرعة شمالا ليدخل في الممر الضيق لمرتفعات بن خلفون هذا الممد الممتد عبر 4 كم معروف بمخنقات الأخضرية (gorges de palestro)وهو احد الممرات الجذابة في الجزائر.[1]

2–**وادي سياو** :ينبع من جبال جرجرة شرقا يصب عند شاطىء رملي قرب دلس ويروي المنطقة الوسطى من القبائل طوله 120 كم، تحاصره شمالا السلسلة الجبلية الساحلية، وشرقا سلسلة اكفادو وجنوبا جبال جرجرة وغربا جبال فليسة، يستجمع مياه من السلاسل الجبلية المحاذية له لان المنطقة مطيرة، والجهة الشرقية التي هي جرجرة والتي تكسو قممها الثلوج لاكثر من 6 اشهر ويتزود من مياه وادي عيسى وبوقدورة .

3–**وادي الساحل او الصومام**: يرفده من الجهة اليمنى وادي بوسالم قرب مدينة اقبو ينحدر من جبال البيبان ويشتد انحداره عند مدينة البويرة وخليج بجاية طوله 210كم .[2]

ويوجد ايضا انهار ساحلية اهمها .وادي الاربعاء (بين يسر وسيباو)واسيف الحمام منبعه يتواجد في غابات اكفادو .

–اما من ناحية المناخ والغطاء النباتي فان موقع المنطقة المطل شمالا على البحر المتوسط جعلها تتلقى كمية كبيرة من الامطار بين (600–1100 ملم سنويا) إضافة الى كميات معتبرة من الثلوج ساعدت على انتشار الينابيع المائية وساهمت في الزراعة وغرس اشجار الزيتون .

اذن فمناخ المنطقة يتميز بالبرودة الشديدة شتاء والحرارة صيفا .

وتشتهر بغابات تحتوي على اشجار البلوط والصنوبر والفلين والارز .....

[1] FICHEUR: op.cit :p.p. 19-20.

نقلا عن مزيان سعيدي: المرجع السابق،ص 48.

[2] عبد القادر حليمي: جغرافية الجزائر: طبيعية، بشرية، اقتصادية، مطبعة الشركة الجزائرية، الجزائر،1968، ص58.

النبات: يكسو المنطقة غطاء نباتي كثيف شجري متنوع دائم الخضرة متوسط الكثافة، من انواعه (الصنوبر، البلوط، العرعار، الصفصاف، التين ....)ويتخللها بعض الاحواض والسهول التي يمارس فيها السكان العمل الفلاحي الزراعية،ويربون الحيوانات الماعز،الابقار، الاغنام .....الخ .[1]

2. أهميتها الثقافية :

تشتهر منطقة القبائل في الجزائر بتقاليدها العريقة في التعاون والتنظيم الاجتماعي والتي تجسدها بشكل خاص نظام "تاجماعت" الذي يعتبر كنظام اجتماعي تقليدي في المنطقة ، فبحكم ان البربر يخضعون لنظام العائلة التي يمثل مجموعها من أصل واحد "ثاخروبت" الخروبة أي السلطة تخضع لشيخ كبير في العائلة، ونظام تاجماعت هو نظام اجتماعي تقليدي في منطقة القبائل،[2] يقوم على اساس الجمعيات المحلية التي تتولى ادارة شؤون القرية ،حيث تشمل مسؤوليات هذا النظام في تنظيم الحياة الاجتماعية وحل النزاعات والتعاون فيما بينهم، وحتى تنظيم الاعمال الجماعية وهذا ما يدل على روح الديمقراطية المحلية ،والمشاركة الجماعية في اتخاذ القرارات ، وهو ما يعبر عن التضامن فيما بينهم او ما يسمى في منطقتهم بثيويزي. حتى هذا فهو يمس مختلف جوانب الحياة مثل، الاعمال الزراعية (الحرث،الحصاد،جمع الزيتون،البناء....)حيث يجتمع جميع افراد القبيلة لبناء المنازل والمرافق العامة .[3]

أيضا عند الحديث عن ظاهرة المناسبات الاجتماعية مثل الافراح نجد ان أفراد القبيلة يجتمعون ويقدمون جميع انواع المساعدات لبعضهم وهذا العمل الجماعي هو ما أدى الى انسجام المجتمع القبائلي، والمحافظة على عادات وتقاليد منطقتهم "القبائل" عبر العصور وتمكينهم من مواجهة صعوبات الحياة.

[1] يحي بوعزيز: الثورة في الولاية الثالثة 1954 -1962 ، شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط01، برج الكيفان، الجزائر ، ص16.
[2] أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 107.
[3] نقلا عن: سعيدي مزيان: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان(1871.1914)،ج1، دار السبيل للنشر والتوزيع ،الجزائر، ص67.

ويعتبر هذا النظام "ثويزي" جزءا هاما من التراث الثقافي في منطقة الزواوة او بحكم هذه المنطقة جبلية فقد يكون هذا التعاون من ضروريات الحياة الصعبة ،ولاتزال بعض المناطق تمارس العادات الى يومنا هذا.

والى جانب هذه العادة الجميلة فإننا نجد تلك المناطق أو القرى البربرية يولد أفرادها اهتماما لمسالة الحرمة والحفاظ على شرف القبيلة الذي يشير إلى أهمية القيم الأخلاقية في المجتمع الامازيغي التقليدي أيضا ومن العادات التي مازالت متمسكة بها ومحافظة عليها نجد قضية الطلاق، فمن الصعب ان يُطّلق الرجل زوجته فهي بمثابة ملك خاص له ،لا يأخذه غيره او قد لا يفيد الخلع ولا التحكيم عندهم مقبول ايضا والمعروف عند القبائل نجد ان اغلبهم تبدأ أسماؤهم بكلمة (آث).(آي).(اهل)(اث بلقاسم).(اث مقران)(اث صالح)....الخ.

وكانت السلطة المنزلية بيد الرجل ولذلك كانت انسابهم تابعة لآبائهم لا لأمهاتهم ، حيث يقول مرسي "ومن غير شك ان لكل قبيلة قوانين تخضع لها ولم يزل اثرها الى اليوم في وطن القبائل "[1]

والى جانب نظام القبائل نجد نظام الصفوف الذي يجمع عدة قبائل وقرى في صف واحد ،فالصف البربري يمكن اعتباره كحزب سياسي داخلي يجمع جماعة من القبائل والقرى في صف واحد ضد جماعة من قبائل اخرى ،وقد يكون اسباب هذه العداوة او النزاعات غير واضحة .[2]

يمكن اعتبار نظام الصفوف شكلا من اشكال التحالفات القبلية التي تنشا لأسباب عدة مثل الدفاع المشترك او التنافس على الموارد .

ومن العادات المتحسنة في الزواوة انقياد الخصم والرضا بالتحكيم في اي حكم يصدر العدول عليه .[1]

[1] مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم وتصحيح محمد الميلي ، جزء1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، د.س ، ص 116 .

[2] احمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص ص107-108.

الا ان قضية الشرف تستثنى من ذلك اذ يعتبرون الانتقام او القتل هو الحل الوحيد في هذه الحالة ويولى سكان منطقة "الزواوة" احتراما كبيرا للمرأة ويحرصون على عدم ايذائها مع التزامها ببعض العادات هي ايضا المشي خلف الرجال او الركوب خلفهم .

وايضا من العادات الراسخة التي تشتهر بها القبائل الكبرى الاحتفال براس السنة الامازيغية (انتصار شوشناق على الفراعنة)، حيث يحتفلون الامازيغ بالسنة الامازيغية الجديدة التي تصادق 12جانفي من كل سنة ،فهو حدث تاريخي بارز وتقوم النساء قبل حلول هذا اليوم بتحضير كل المستلزمات "يناير" كالذبح فيه فسيلان الدم عندهم يدل على زوال الهم ، اضافة الى الاطباق التقليدية كالسفنج ، مسمن، والكسكسي الذي يحتوي على 7 انواع من الخضر والبقول مع اللحم المخصص لهذا اليوم .

اما بالنسبة لمنازلهم فيشير كلام حمدان خوجة في كتابه المرآة الى نمطين من المساكن في ذلك الوقت، الاكواخ في القرى الصغيرة والتي كانت تبنى باستخدام مواد طبيعية متوفرة مثل الاخشاب والقصب وتحصن بخليط من الطين وروث البقر وذلك لمنع تسرب المياه وكانت اسطح هذه الاكواخ تزرع بنوع من العشب يسمى (الديس).[2]

كانت هذه المباني بسيطة وصغيرة ، ولايزيد ارتفاعها عن قامة الرجل . هذا الوصف يعكس بساطة الحياة في القرى الصغيرة، والاعتماد على مواد البناء المحلية المتوفرة بكثرة، حيث كانت هذه المساكن تأوي في

[1] مزيان سعيدي : المرجع السابق ، ص 68.

[2] حمدان بن عثمان خوجة: المرآة, تقديم وتعريب وتحقيق د . محمد العربي زبيري ، منشورات ANEP ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ، الجزائر ، 2006 ، ص27.

نفس الوقت النعجة والمعزة والبغل والدواجن والكلاب والرجال والنساء والاطفال [1]،وهذا يشير إلى العلاقة الوثيقة التي تربط الانسان بالحيوان ومدى اهمية الحيوان في حياة الانسان اليومية .

-وكان البربر منهم الرُحل اهل البيوت التي يخف حملها مهما أرادو الظعن ومنهم المقيمون اهل القرى والمدن يتخذون بيوتهم إما من الخشب او الحجارة ويخطون سقوفها بالنباتات او الديس.[2]

اما بالنسبة للأثاث فهم لايملكون اي نوع من الاثاث سوى مطحنة صغيرة لطحن الدقيق والشعير، وترى عندهم التبن المجفف وبعض الاواني الخشبية وقربة فيها الماء للشرب معلقة على الدوام.[3]

وهذا يوضح لنا كيف كان الناس يتكيفون مع الظروف المناخية القاسية من خلال تخزين الطعام وتوفير مأوى للحيوانات من خلال جمع الحشائش واوراق الشجر لتغذيتهم بها في فصل الشتاء لأن الرعي يكون مستحيلا بسبب الثلوج، فهم يهتمون بها نظرا لما توفر لهم من الحليب واللحوم والنقل والحراسة. اما القرى الكبيرة التي هي في الجبال الوعرة فان العدو لايصلها الا بمشقة، وهذا بسبب طبيعة التضاريس الصعبة وهذا يوفر لها نوعا من الحماية الطبيعية، كما ان هذه المناطق تعتبر مصادر غنية بالحجارة الصالحة للبناء، ويستعمل السكان الاسلحة النارية في اغلب الاحيان ويحفظها في القماش.

مساجد هذه القرى مبنية على منوال المساكن بفارق واحد هو انها تُبيض بالجير، والذين يحسنون الشعائر الدينية من بين الاهالي يعتبرون كما نعتبر العلماء في مدننا، وعند الحديث عن غذائهم فهي في الغالب خبز الشعير والكسكسي وزيت الزيتون والتين المجفف والبلوط و الحليب .

[1] بن عثمان خوجة: المصدر نفسه، ص 27.
[2] مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص111.
[3] بن عثمان: المصدر السابق، ص 28.

اما ملبسهم فهو مصنوع من الصوف، فكان الرجال يرتدون البرنوس بينما تتزين النساء بالحايك وفي فصل الصيف كان الاطفال يمشون عراة في الاوقات الحارة، واما احذيتهم فكانت تصنع من جلود الحيوانات وتشبه في تصميمها الاحذية الرومانية وتعرف باللغة الامازيغية باسم "اركاسن"او"االشيغاض".[1]

وهناك القشابية وهو ثوب له اكمام كانت من لباس الرومان ايضا [2]ومن مكاسبهم الغنم والبقر والخيل، وهذا لفوائدها كالحليب واللبن والخيل لركوبها[3]،وقبل معرفة البربر للزراعة كانوا يقتانون من لحوم الصيد والحيوانات الانسية والنباتات الطبيعية التي لا تضر بمعدتهم وبعد ان عرفوا الزراعة استعملوا من الحبوب ضروبا من الاطعمة واتخذوا الحلي من النحاس والفضة والذهب والخواتيم واساور وخلاخل وغيرها .....

وباعتبار اللهجة الامازيغية من الثقافات المتميزة التي يجب الحفاظ عليها، فهي علم قائم بذاته وذلك لان الامازيغ يتمتعون بلغة وعادات وتقاليد تميزهم عن غيرهم. فظلت اللغة الامازيغية في شمال افريقيا لغة التداول والتواصل عند الكثير من الامازيغيين على الرغم من سياسات الادماج والرومنة والتجنيس التي تعرضوا لها، فلم يتركوا لغتهم الاصلية فقط بل حافظوا عليها كثيرا وخاصة في المناطق النائية ، التاريخ ان الراهب دوناتيس خلال فترة الاحتلال الروماني لشمال افريقيا كان يستعمل اللغة الامازيغية للصلاة والعبادة ورفض استعمال اللغة اللاتينية ،وحافظ الامازيغ على كتابة "تيفيناغ" باعتباره تراثا وطنيا [4]وكان البربر يسمون لغتهم " تماشغت "ولهم لهجات مختلفة ،فتجد فرقا بين لغة زواوة احدى بطون ضريسة ولغة مصاب (مزاب)من زناتة

[1] سعيدي : المرجع االسابق، ص 71.

[2] مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص 112.

[3] مبارك الميلي: نفسه، ص 113.

[4] مفيدة مقورة : اللغة الأمازيغية في الجزائر، دراسة في سياسات الترسيم وتأثيرها في مسار استكمال الهوية الوطنية، جامعة قسنطينة 3 ، 2018، ص 634.

وغيرهم ،كانت اللغة العربية البربرية كغيرها ساذجة بسيطة ثم تطورت مع الزمان وتأثرت بما كان يجاورها من اللغات الراقية وخصوصا الفينيقية وكان لها ادبها وبلاغتها.[1]

وكان للبربر خط خاص بهم وحذفوه تمثل شيئا من اشياء الكون مثل الشمس والهلال والبرق، وتدل على معنى موافق اما لصفة ذلك الشيء مثل السرعة للبرق واما لفائدته مثل الحرارة للشمس.

وكان الخط في القديم يتركب من عشرة حروف يسمونها "تيفيناغ" وكان البربر يكتبون من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين ومن اعلى الى اسفل ومن اسفل الى اعلى و لما جاء العرب اثّروا بنظامهم فصاروا يكتبون من اليمين الى اليسار .[2]

3.أوضاع منطقة الزواوة قبل 1857.

كان المجتمع الجزائري مجتمعا قبليا وعشائريا، حيث كانت القبيلة والعشيرة هما الأساسين في التنظيم الاجتماعي، وقد حاولت فرنسا من خلال دراستها الواسعة للمجتمع الجزائري قبل الاحتلال تقسيمه إلى فئات إجتماعية على أساس عرقي، فصنفت المجتمع إلى ثلاث فئات وهم:

-فئة الأتراك :كانوا يشكلون طبقة ارستقراطية مرموقة حيث كانوا يتمتعون بالنفوذ و السلطة في البلاد.

-فئة العرب و البربر:كانوا يشكلون غالبية سكان الجزائر الأصليين .

-فئة اليهود:كانت تشكل فئة قليلة مقارنة بالأتراك والعرب والبربر أو بالأحرى الطبقة العليا و التي تشمل المرابطين (شخصيات دينية ذات نفوذ)،وزعماء الطرق الصوفية (قادة الجماعات الدينية)وكبار التجار

[1] مبارك بن محمد مليلي،المرجع نفسه، ص 119.

[2] عبد الوهاب زيان : الجزائر والهوية الأمازيغية، مجلة معارف، جوان 2010، ص ص 302-303.

الذين يمتلكون ثروة ونفوذا اقتصاديا وملاك الأراضي الواسعة الذين يسيطرون على الأراضي الزراعية، والطبقة السفلى التي تضم غالبية الشعب الجزائري وتشمل الفلاحين والحرفيين و العمال.

وكان هناك فئات اجتماعية أخرى مثل:الكراغلة[1] الذين كان لهم دور في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية، فبدخول فرنسا سنة 1830[2] استطاعت أن تقضي على هذه البنية الاجتماعية حيث اختفت نهائيا فئتان (الكراغلة و الأتراك)1التي وقفت في وجه الحملة العسكرية الفرنسية سنة1830 . وأدى إلى تفكيك المجتمع الجزائري، فحتى الطبقة الاجتماعية السفلى بما فيها سكان الأرياف كانت تعاني من النهب والسلب، وهو الأمر الذي أجبر الفلاحين على بيع أراضيهم للمستعمرينهذا الوضع المزري الذي حل بالمجتمع الجزائري وبالأخص سكان الأرياف انعكس سلبا على الثروة الحيوانية وذلك من خلال تقلص مساحات الرعي جراء تحويل الأراضي الرعوية إلى أراضي زراعية بعد استصلاحها من طرف المعمرين، ومنه فإنه يؤدى إلى نقص الأعلاف الطبيعية مما يؤثر على تغذية الحيوانات وانخفاض الإنتاجية، فعلى سبيل المثال سنة 1865كان عدد رؤوس الأغنام في الجزائر ثمانية ملايين رأس .لكن عند مقارنته بالسنوات السابقة فإنه بقليل منها ,ومع حلول عام 1900ومع استمرار ظاهرة النقصان الماشية وصل العدد الى ست ملايين وثلاثة مائة ألف رأس فقط .[3]

ومن جهة أخرى تأثر الإنتاج الزراعي هو كذلك، وانحصرت الزراعة الجزائرية على الزراعة المعاشية المتواجدة على سطوح الجبال و المنحدرات التي كانت من قبل قائمة على السهول و الأحواض الخصبة التي أصبحت في يد المستوطنين الأوروبيين.والذين تلقوا الدعم من حكومتهم مما أدى إلي ازدياد الإنتاج خاصة الألات الحديثة و الأسمدة على عكس الفلاح الجزائري الذي يعتمد علي الحيوانات و الألات الخشبية التقليدية في غالب الأحيان .وفي الوقت الذي كان فيه المستوطنون يتلقون الدعم من دولتهم ومعفون من كل الضرائب

[1] عبد الوهاب زيان: المرجع السابق، ص 303.

[2] بوعزة بوضرساية: سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930وانعكاساتها على المغرب العربي ،دار الحكمة للنشر،الجزائر،2010،ص106.

[3] شارل روبير أجيرون:المرجع السابق، ص 106، نقلا عن: بوعزة بوضرساية: المرجع السابق.

، كان الفلاح الجزائري يخضع للضرائب .وكان هذا الهدف هو إجباره علي ترك أراضيه ، ووجدالفلاح الجزائري نفسه أجيرا عند المعمر مقابل أجر بسيط .

كما أن التجارة التي كانت مزدهرة قبل الاحتلال الفرنسي قد أصابها الركود بسبب السياسة الفرنسية التعسفية القائمة على تهديم الدكاكين و المحلات، أما التهجير و النفي فكان أشد قساوة على المجتمع الجزائري ، وكان من أولى أسبابه الإستطان و المقاومات الشعبية .فما يمكن قوله أن ما عاشه الجزائريون أدى بهم إلى ضرورة الإنتقال إلى فرنسا من أجل العمل هناك .[1]

وعليهفإن الهدف الذي يرمي إليه المحتل الفرنسي من تحطيم كيان المجتمع الجزائري هو محو جذور

ومن العوامل المؤثرة في التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري "سياسة الاستيطان "، وقد استندت هذه السياسة إلى تقارير إستخباراتية فرنسية جمعت معلومات دقيقة حول طبيعة الأراضي و المناخ في الجزائر قبل الاحتلال، وحسب ما ذكره فأن الجزائر تمتلك أراضي شاسعة وخصبة التربة، ومناخها المتنوع يساعد علي الفلاحة و الزراعة [2].

ورغم المقاومة التي أبداها المجتمع الجزائري ضدها إلا أن الاستعمار الفرنسي وبعد ستة وأربعين سنة من الإستيطان والتعمير وصل عدد المستوطنين الوافدين من أوروبا إلى مائتين وأربعين ألف وسبعمائة وتسع وسبعين نسمة 244779.

[1] سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 317.

[2] René LESPES ;atlas historique ,géographique ,économique de L'Algérie ,édition horizon de France, 1934,p. 96

نقلا عن: بوعزة بوضرساية: سياسة فرنسا البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص112 .

فقد شجعت فرنسا هجرة الأوروبيين إلى الجزائر مما أدى إلى تغيير التركيبة السكانية للبلاد ، والإستلاء على الأراضي الخصبة ومنحها للمستوطنين الأوروبيين وتهميش السكان الجزائريين الأصليين .والهدف منها هو تغيير التركيبة السكانية للجزائر وجعلها ذات أغلبية أوروبية .

والحاكم "كلوزيل"هو من افتتح ظاهرة الإستيطان .والجنرال "بيجو"الذي كتب إلي وزير الحربية آنذاك قائلا :"إن الحملات العسكرية ضد الشعب الجزائري أضافت إلى ممتلكاتنا أراضي جديدة خصبة وسوف نوزعها على المعمرين الأوروبيين ".

ولإنجاح هذه الظاهرة قامت الإدارة الفرنسية على إغراء المستوطنين عن طريق تسهيل طرق الهجرة إلى الجزائر ومنحهم امتيازات ورأس مال كاف لإنطلاقة أي مشروع في الجزائر، وكانت البداية ما بين (1830-1851)حيث أسس المستوطنون الوافدون مائة وستة وعشرون قرية، وبين (1851-1860)أنشؤا خمس وثمانين مركزا استيطانيا وتوزيع ما يقارب مائتان وخمسون ألف هكتار، ورغم محاولات المالك "نابليون الثالث"في التخفيف من حدة الهجرة نحو الجزائر وتوقيف العمل بمنح التنازلات مجانا من الأراضي، الا أن الاستيطان ارتفع في الفترة ما بين (1852-1871) ، وارتفع عدد المستوطنين من (124401نسمة إلى 245000نسمة).وبعد الحرب الألمانية الفرنسية عام 1871 قامت الجمهورية الثالثة بإجبار كل الجزائريين الذين قاوموا الاحتلال الفرنسي من خلال" مقاومات الشيخ المقراني" على مغادرة أراضيهم وتهجيرهم بالقوة ، وهذا أثر سلبا على المجتمع الجزائري .

وفي عام 1896زادت نسبة المستوطنين في الجزائر إلى خمسمائة وثمانية وسبعين ألف نسمة(578000)وفي عام 1900أصبح أكثر من ستمائة وعشرين ألف نسمة (620000)أيضا عملت

إدارة الاحتلال إلى إنشاء شركات للتكفل بالاستيطان ماديا وأهم شركة تأسست عام 1868وتحصلت على ألف هكتار من الأراضي .

ومن الإجراءات المتخذة لصالح الاستيطان أيضا "المشاريع الغابية"، فقبل الاحتلال كانت الغابة ملكا للبايلك والسكان أحرار في التصرف فيها، لكن بعد الاحتلال أصبحت ملكا عقاريا للإحتلال .

بقي الوضع الاجتماعي مزريا إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الأولى حيث طبق على الجزائريين قانون {التجنيد الإجبارى عام 1912}وكانت هذه هي فرصة الإحتلال للتخلص من الجزائريين في الحرب [1].

وكان لسياسة الإستيطان والتعمير واضحة المعاني في تقارير الجواسيس الفرنسيين أمثال الضابط "بوتان"صاحب مشروع احتلال الجزائر[2]، إلى فتح باب الاستيطان في الجزائر، وانطلاقا من هذا الأساس رأت الحكومة الفرنسية أن تشجيع سكان أوروبا على الاستيطان في الجزائر أمر ضروري للحفاظ على وجودها كقوة استعمارية أوروبية .فقد قدمت فرنسا كل الدعم والتسهيلات لتشجيع هذه الحركة ، وتشجيع المعمرين على البقاء في الجزائر من خلال شن بعض القوانين ونزع الأراضي من الجزائريين وتوزيعها على المستوطنين، فقد استطاعوا في فترة بين (1848-1850)إنشاء أكثرمن 42قرية خاصة بالمستوطنين [3].ومن القوانين التي أعطت حق الملكية والتصرف في الأراضي قانون 26أفريل 1851.وحق إنشاء الشركات الفلاحية الكبرى، منها :

[1]كانت هذه الإدارة العسكرية ممثلة في الحاكم العسكري آنذاك الماريشال كلوزيل، الذي يعتبر أول من أسس للاستيطان وشجعه حول الموضوع أنظر:

Ageron: op.cit, p.p. 20-21

[2]فرحات عباس: ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، المغرب، ص 95.

[3]Claude SCHURER ;La compagnie genevoise des colons suises de sétif ,in l'agenariste n 30 SD
نقلا عن: عزة بوضرساية: سياسة فرنسا البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص 163.

مؤسسة جينيفواز : " La compagnie Genevoise " التي تحصلت على 20ألف هكتار بنواحي سطيف، وهدفها هو بناء المستوطنات [1].

شركة الهبرة والمقطع : L'Habra Société et El Machaq عام 1864 تحصلت على 24 ألف هكتار من الأراضي .

-مرسوم 2 جوان 1858 الذي أصدره نابليون الثالث والذي نصّ على إنشاء وزارة المستعمرات

-سياسة الدمج : سعت السلطات الإستعمارية عقب إحكام سيطرتها على الجزائر إلى تحويلها إلى جزء لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية ، حيث أصدرت قرار في 22 جويلية 1834 ينص على أن الجزائر جزءا من التراب الفرنسي .

لقد شكلت الجهود التي بذلها المستوطنون من أجل الحفاظ على جزائرهم الخاصة، وبعد صدور قانون 15 أفريل 1845 الذي قسّم الجزائر إداريا إلى ثلاث مقاطعات لتقسم بدورها إلى عدة مناطق منها :

-المناطق المدنية : وهي المناطق التي يتركز فيها غالبية المستوطنين الأوروبيين وخصصت لهم لما تمثله من أهمية سكانية واستيطانية .

-المناطق العسكرية:التي ما زالت تحت النفوذ العسكري .

-المناطق الأخرى :مناطق يتم تحويلها إلى مناطق مدنية فتكون مهيأة للاستيطان .

وهذه القوانين المتعلقة بالدمج لم تلق أي ضرر بمصالح المستوطنين ، وقد نصت المادة 109 من دستور الجمهورية الفرنسية الصادر في 4 نوفمبر 1848 وأكد خضوع الجزائر لقوانين تراعي مصالح المستوطنين .

[1] أبو قاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 99.

من جهة أخرى منحت الحكومة الفرنسية بين (1848 – 1852) المستوطنين في الجزائر حقوقا تمثيلية داخل الهيئات السياسية الفرنسية، وبعد زيارة نابليون الثالث الجزائر ومعرفته لأوضاع الجزائريين أمر بوقف مصادرة أراضي الجزائريين وفرض المساواة بينهم وبين الفرنسيين باعتبارهم تحت حماية فرنسا فلهم نفس حقوق المستوطنين حيث يقول : " وما دمت إمبارطورا للفرنسيين فإنني كذلك إمباراطورا للعرب ..."[1] .

الوضع الثقافي:

كان التعليم يعتبر من أبرز مميزات الحياة الثقافية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وأثناءه، وقد مر بمرحتلين رئيسيتين الأولى تمثلت في التعليم الإبتدائي، الذي كان يقدم في " الكتاتيب " نظرا لإرتباطها الوثيق بالمساجد والجوامع [2]، وهذا التعليم ساهم في ارتفاع نسبة المتعلمين بشكل ملحوظ وعلى الرغم من ذلك فإن الإحصائيات التي قدمتها فرنسا حول نسبة الأطفال الجزائريين الذين يتلقون هذا التعليم التقليدي في حدود 20%، أما من حيث المحتوى فكان التعليم في هذه المرحلة يركز على تعلم الحروف الأبجدية وكتابتها ثم حفظ القرآن الكريم .

أما المرحلة الثانية وهي التعليم الثانوي، فكانت تتولاها الزوايا وبعض المدارس المعروفة آنذاك، حيث كانت تدرس مواد ذات قيمة علمية ودينية عالية مثل : أحكام القرآن الكريم، المنطق ، الفقه ، الحديث، التاريخ، التصوف، الحساب وعلم الفلك. وهذا يشير إلى المستوى المتقدم للحياة الثقافية والتعليمية في الجزائر . وقامت فرنسا عام 1830 بإحصاء الزوايا والمدارس في العاصمة وحدها وصلت إلى إثني عشر مدرسة ثانوية وأكثر من 349 زاوية، ويرى العديد من الباحثين أن صمود الثقافة العربية في الجزائر يعود إلى تمسك الجزائريين بلغتهم العربية، التي يُنظر إليها كمركز لهويتهم الحضارية والدينية، ولقد حاربت إدارة الاحتلال الفرنسي الثقافة

[1] عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ط1، دار الأمة، الجزائر،1999، ص ص29-30.

[2] DEVOULX: Les édifices religieux de l'ancien Alger, Alger, 1870, p. 02 .

نقلا عن بوعزة بوضرساية: السياسة الفرنسية في الجزائر، المرجع سابق، ص 127.

العربية في الجزائر بشكل ممنهج سعيا منها إلى طمس الهوية الوطنية للشعب الجزائري و إحلال الثقافة الفرنسية محلها ، وقد رأت في اللغة العربية هذه الهوية، فعمدت إلى تهميشها ومحاربتها عبر جملة من التعليمات والقوانين بهدف فرض اللغة الفرنسية كلغة وحيدة ورسمية في المعاملات والمؤسسات، ومحاولة منها في جعل الجزائريين مجرد تابعين ثقافيا وفكريا للاستعمار . والذي أثر سلبيا على اللغة العربية ليس إنخفاضا في مستواها و إنما سلب حرية الجزائريين من إستخدامها لغتهم رسميا، إضافة إلى الأوضاع التي كان يعيشها المجتمع الجزائري الذي عانى من التهميش والفقر والجهل نتيجة السياسة الإستعمارية الممنهجة مما ضيق إستخدام اللغة العربية حيث فرضت الفرنسية كأداة للتواصل الرسمي والتعليم والإدارة.

وقد أسفرت هذه السياسة الإستعمارية الخطيرة عن نتائج كارثية أبرزها إستهداف المؤسسات الثقافية الجزائرية التي كانت تشرف على التعليم العربي حيث تعرضت للهدم والإغلاق وتوقيف التموين عنها. هذا الوضع دفع بالتلاميذ الجزائريين إلى التخلي عن الدراسة، واضطر العلماء والمثقفين إلى الهجرة نحو الدول الأوروبية، وفي ظل هذا عمد الاحتلال على فرنسة الفرد الجزائري بكل الوسائل المتاحة وتشويه الإنتماء الحضاري. أما المؤسسات التي لم يصلها الهدم فقد تم تحويلها إلى مرافق عمومية وقد تأسست اول مدرسة فرنسية عربية عام 1833 بالعاصمة وعنابة، ثم جاء مرسوم في 14 جويلية 1850 أقر بتأسيس المدارس الفرنسية في كل المدن التي تم إحتلالها " الجزائر، وهران، قسنطينة وعنابة " على حساب مدارس التعليم العربي [1]، وفي 13 فيفري 1883 أصدر مرسوم بموجبه أصبح التعليم فرنسي الطابع ، وإنشاء نوعين من التعليم الأول خاص بابناء المعمرين والثاني يخص أبناء الجزائريين . يقول الدوق " **دومال** ":" **لقد إرتكزنا في الجزائر**

[1] سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر،ج3،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1998، ص 330.

واستولينا على المعاهد العلمية وحولناها إلى دكاكين وثكنات ومرابط الخيل، واستحوذنا على أوقاف المساجد والمعاهد وبذلك قضينا على العربية ...[1]".

كذلك بالنسبة للتعليم العالي فقد أنشأت أول جامعة في الجزائر أواخر القرن 19 عشر بالعاصمة، وكان التعليم فيها باللغة الفرنسية، وقامت بحصر تعليم أبناء الجزائريين في التعليم الإبتدائي فقد حتى لا يتم تثقيفهم، ويبقى المجتمع الجزائري أميا . وعدم إعطاء فرصة للمتفوقين الجزائريين في مواصلة الدراسة وذلك بفرض عليهم امتحانات صعبة وتكاليف مرتفعة. لكن هذه السياسة باءت بالفشل، ففي عام 1877 وصل عدد المعلمين إلى 216 معلما، لينخفض العدد إلى 198 معلما عام 1882. وعام 1886 إنخفض الى 115 معلما، وعام 1889 أصبح 81 معلما إلى غاية 1893 أصبح 69 معلما[2] .

وحتى لا يواصل أبناء الجزائر تعليمهم قامت إدارة الاحتلال بمصادرة أملاك الحبوس والزوايا ليتلقفهم الجهل وهذا ما تهدف اليه، وفي عام 1892 صدر مرسوم بعدم إنشاء مدارس عربية أو فتحها وهو مادفع بالجزائريين إلى الاعتماد على التعليم السري حتى لا ينتشر الجهل بين أبنائهم. وفي عام 1904 صدر مرسوم يمنع التعليم دون رخصة، لكن الشعب الجزائري ضل مستمرا في تلقين أبنائه اللغة العربية من خلال حفظ القرآن الكريم. يقول "أحمد الخطيب" عن هذه الطريقة أنها: "كانت السبيل الوحيد للحفاظ على الشخصية العربية للجزائر أمام خطر الإندماج الذي يهددها."

ولم يكن النظام المدني الذي بدأ في الجزائر عام 1871 بعد سقوط النضام العسكري سوى إمتداد للنظام السابق , لكنه إتخذ شكلا أكثر خطورة نتيجة هيمنة المستوطنين على إدارة المؤسسات السياسية

[1] حول مرسوم1892 م أنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص ص 350-351.

[2] رابح تركي عمامرة: الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1969، ص 135.

والإقتصادية[1] في البلاد . وهذا ما انعكس سلبا على الوضع الثقافي في الجزائر . وهو ما أكده رواد الفكر العربي عام 1901 أثناء زيارتهم للجزائر قائلون :" **إن حالة التعليم –التي تعكس الوضع الثقافي في الجزائر –في الجزائر سيئة جدا ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات** ... "[2].

[1] جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص 138.

[2] أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985، ص 54.

الفصل الثاني: الأسطورة القبائلية بين النشأة و التفعيل.

1.الأسطورة عند السياسيين .

2.الأسطورة عند العسكريين .

3.الأسطورة عند رجال الدين .

4.الأسطورة في متون الدراسات البربرية .

الفصل الثاني: الأسطورة القبائلية بين النشأة والتفعيل:

ظهرت الأسطورة القبائلية، أو ما يُعرف بالوهم القبائلي، كقضية انتشرت قبل فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر.[1]، "منذ عام 1830، حظي اكتشاف خصوصية المجتمع القبائلي بعدد من الأنصار، وقد تمت صياغة هذه الأسطورة ما بين عامي 1840 و1857، ثم تعززت وتعمقت خلال الفترة الممتدة من 1860 إلى 1870، في سياق تحقيق أهداف سياسية، قبل أن يذاع صيتها بشكل واسع بين عامي 1871 و1891"[2][3] وتندرج الفكرة المؤسسة للأسطورة القبائلية التي تطورت إلى سياسة قبائلية أوجدت مسألة بربرية، ضمن المخطط الاستعماري الفرنسي في الجزائر القائم على تحقيق هدف إستراتيجي تمثل في العمل على إلغاء الوجود التاريخي للشعب الجزائري من حيث مقوماته الحضارية [4]، وقد تحددت معالم هذا المشروع الاستعماري الذي استهدف البنية الاجتماعية والحضارية في فكرة تقسيم سكان الجزائر وتصنيفهم إلى بربر وعرب لفرض الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر والتخطيط الإستراتيجي لتهيئة الظروف في حالة انتهاء السيادة الفرنسية، لتكوين كيانات محلية قائمة على التمايز والخصوصية الإثنية .[5]

ركز الاستعمار الفرنسي اهتمامه على منطقة القبائل، معتبرا إياها من أكثر مناطق الجزائر استعدادا للتأثر والتفاعل. ويعود هذا التركيز الى قربها من العاصمة الجزائر , وكثافتها السكانية، إضافة الى تضاريسها الوعرة وقلة مواردها , ما يجعلها غير مناسبة للإستيطان الأوروبي الواسع او الاستغلال الاقتصادي الرأسمالي . كما ان سكانها يتميزون بلغتهم الخاصة و تقاليدهم المميزة , مما يعزز فيهم روح الاستقلال والانتماء القبلي ، ويجعلهم يميلون الى الحفاظ على خصوصيتهم ورفض الذوبان في مجتمعات أخرى , الى جانب اعتمادهم الكبير على انفسهم في تأمين قوتهم واحتياجاتهم.

[1] عن جذور ومبادئ المسألة البربرية في شكلها العام في الفلسفة الاستعمارية الفرنسية قبل الاحتلال، من خلال مشاريع الغزو والأدبيات الفرنسية المعاصرة المرحلة ماقبل الاحتلال انظر: بوعزة بوضرساية: المسألة البربرية في السياسة الاستعمارية الفرنسية 1830 1930، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة (مخطوطة) قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، 2004 - 2005.

[3] -AGERON (Charles Robert), Les Algeriens Musulmans Et La France, T1, p 267

[4] ناصر الدين سعيدوني: المسألة البربرية في الجزائر: دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية ، عالم الفكر، العدد الرابع، المجلد 32 أفريل-جويلية 2004، ص 143.

[5] المرجع نفسه، للمزيد انظر أيضا: أحمد رضوان شرف الدين القبائل: عودة الخرافة ، الشروق اليومي عدد 204 ليوم الإثنين 17 ربيع الثاني 1422 هـ /9 جويلية 2001.

فبعد إخضاع بلاد القبائل وإخماد مقاومة رجال الزوايا بها (1857-1844)، ركزت الإدارة الفرنسية جهودها على المنطقة من خلال " المكاتب العربيةBureaux Arabes)) وبـ الدوائر البلدية Communes Mixtes[1])المختلطة أو الممتزجةكما تركز نشاط الباحثين الفرنسيين المختصين – وأغلبهمممن عمل بالجيش الفرنسي – بالشؤون الأهلية(Affaires indigenes) .

على رصد كل ما يميز القبائل" عن غيرهم من الجزائريين بتشجيع من الحكام العامين للجزائر مثل المارشال والجنرال راندون ،)Maréchal Th. R. Bugeaud(بيجو الذين كانوا MacMahon وماكماهون ،)Général Randon(يصدرون تعليمات خاصة بفصل القبائل عن غيرهم من الجزائريين في المعاملات وفي القوانين. وقد كان هناك توجه لدى هؤلاء الضباط والموظفين الفرنسيين لإرساء سياسة تميز القبائل عن غيرها من السكان الجزائريين في المعاملات القانونية والإدارية . هذا التوجه أدى إلى نشوء قناعة لديهم بأن فرنسا يجب ان تتبنى سياسة " بربرية " تجاه منطقة القبائل . لكن وبسبب رفض غالبية السكان لهذه السياسة وخشية المستوطنين الأوروبيين من نتائجها , ظلت هذه الفكرة إيديولوجية أكثر منها خطة عملية قابلة للتنفيذ , وقد أشار العديد من الدراسين ومنهم المؤرخ "شارل روبير اجيرون " الى ان هذه السياسة لم تكن سوى " خرافة قبائلية " او " وهم قبائلي " Mythe Kabyle[2])

1-الأسطورة عند السياسيين:

كانت رؤية أصحاب التوجه الاستعماري قائمة على فرضيات و احكام تفترض أن الشعب الجزائري يتكون من مجموعات عرقية متعددة ، وبالتالي يجب عدم اعتباره شعبا واحدا يتشارك في أصول بشرية متجانسة ومتماسكة نشأت من تفاعل حضاري مشترك يقوم على الأسس الإسلامية من لغة ودين ، وفقا لهذه الرؤية الاستعمارية ، كان ينبغي إلغاء هذا التلاحم الثقافي والاجتماعي واعتبار الجزائر مجموعة من الكيانات الجغرافية المتنوعة التي تفتقر الى عامل موحد .

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 143.

[2] للمزيد انظر دراسة شال روبير أجرون في هذا الصدد:

AGERON (CH,R), «La France a-t-elle eu Une Politique Kabyle?», in R H, 1964.

-وإبرازها كسياسة قبائلية بل كإيديولوجية استعمارية فرنسية بين 1860 - 1870 الأغراض سياسية، ثم أصبحت أكثر شهرة بين 1871 - 1891 لتأخذ شكلا خطيرا، تم بناء الأسطورة القبائلية Le the Kyle بين 1840 - 1857 ثم تدعيمها للمزيد انظر:

-AGERON : Les Algeriens Musulmans :T1, op.cit, p. 267.

في إطار هذه السياسة ، تم اختيار منطقة القبائل كمثال رئيسي لتطبيق خطة استعمارية ذات توجه طائفي . فقد كانت المنطقة تتمتع بكثافة سكانية عالية(.300كم2) وموقع إستراتيجي يسيطر على شبكة المواصلات . كما كانت تتحدث لهجة محلية خاصة ولديها بنية اجتماعية متميزة ، فضلا عن كونها واحدة من أهم المناطق التي قاومت الاحتلال الفرنسي ، لذا أصبحت منطقة القبائل موضوعا لدراسة معمقة من قبل الساسة الفرنسيين والظباط العسكريين والباحثين الجامعيين الذين رأوا فيها نموذجا لتطبيق سياسة التفريق الطائفي وفصلها عن باقي الجزائريين .[1]

رأى بعض المعارضين للنظام العسكري الفرنسي بالجزائر ان تجربته كانت فاشلة بسبب عدم اهتمامه الكافي بالمسالة البربرية اذ كان هذا النظام اقرب الى العرب منه الى البربر . فقد كانت العديد من المؤسسات التي نشات في تلك الفترة تعكس الطابع العربي بدلا من البربري ، مثل" المكاتب العربية " و " المملكة العربية".

وفي هذا الاطار، أشار موريس وارنيي [2] (Maurice warnier) عام 1865 الى ان القيادة العسكرية الفرنسية ارتكبت خطأ كبير من خلال عدم التمييز بين العرب والبربر ، وهو ما أدى إلى تبني مفاهيم خاطئة مثل القومية العربية والمكاتب العربية ، مما ساهم في وقوعها في أخطاء جسيمة .[3]

وحتى إمبراطور فرنسا نابليون الثالث (1852-1870) والذي كان نهاية الحكم العسكري، تعرض للإنتقاد من قبل دعاة المسألة البربرية . رغم انه خصص البند الأول من القانون المشيخي Sénatus (Consultالصادر في 22 أفريل 1863، لمعالجة المسألة البربرية .[4]

[1] ناصر الدين سعيدوني : الجزائر منطلقات وآفاق، المرجع السابق ، ص ص 82 – 83 .

[2] موريس وارنيي: طبيب جراح ولد سنة 1810 عين مديرا للشؤون المدنية في مقاطعة وهران سنة 1848 ، ثم عين مقررا لدى المجلس الأعلى للحكومة في الجزائر سنة 1849، لكن الامبراطورية احالته على التقاعد، فكرس وقته في نشر الكتب المدافعة على مصالح المستوطنين، وهو من معارضي سياسة نابليون الثالث المملكة العربية. أصبح وارنيي زعيم المعادين للعرب وهم الذين أطلق عليهم اسم الأرابوفوب Arabophobes والأرابوفاج Arabophages ، وقد نشط هؤلاء بإصدار الكتيبات والحملات الصحفية ضد العرب وضد مشروع المملكة العربية خلال فترة الستينيات من أبرز مؤلفاته: L'Empreur, WARNIER (m), L'Algerie Devant –
صدر سنة 1865 م، كما له كتابان آخران صدرا سنة 1863 هما:

[3] للتوسع أكثر راجع:

-L'Algerie Devant Le Sénat
-L'Algerie Devant L'Opinion Publique

راجع سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ص ص311 -312.

[4] بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص 206.

الا ان معارضيه بما فيهم المستوطنون ، هاجموه بسبب دعوته لإنشاء " مملكة عربية" وعدم اعتباره الجزائر مستعمرة فرنسية ، بالإضافة الى اعتبار نفسه امبراطورا لكل من الفرنسيين والعرب معا.[1]

كان موريس وارنيي من ابرز المؤيدين لسياسة ادماجية تهدف الى تحويل الجزائر الى مقاطعة فرنسية ماوراء البحر . وكان يعارض السياسة المتعاطفة مع الأهالي التي اتبعها نابليون الثالث ، اذ اعتبر ان هذا النظام كان اقرب الى العرب من البربر . ومع اصدقائه مثل جول دوفال (Jules Duval) و فرديناند بارو، بدأ في بناء دفاع فكري عن الشعب البربري "Ferdinand Barron"، وكان يرى انه لو طالب نابليون الثالث بمنح الحقوق للبربر بدلا من دعوته المستوطنين الى احترام العرب ، لقد كانت هذه الأفكار قد نالت دعم الجميع . وفي نضره كان من الصعب التعامل مع النظام الاجتماعي العربي ، بينما كان من السهل إدخال الحضارة الفرنسية الى الأعراق البربرية.

لقد سعى وارنييه الى تبرير أفكاره من خلال تأكيد بعض النقاط الأساسية ، مثل ان البربر هم السكان الاصليون الحقيقيين في الجزائر ، وهم أقرب الى الفرنسيين من العرب ، بالإضافة انهم يمثلون مستقبل البلاد .[2]

كما دعا الجمهوريين الفرنسيين الى تبني التقاليد الديموقراطية البربرية ، معتقدا ان مؤسساتهم المستوحاة من القانون الروماني كانت اقرب الى المبادئ الجمهورية مقارنة بالمؤسسات العربية الاستبدادية .[3]

طالب وارنييه أيضا حكومته بمحاربة تمكين اللغة العربية في الجزائر ، مؤكدا ان الجزائر تتكون من شعبين و ليس شعبا واحدا . كما اقترح الاعتراف بثلاث لغات : البربرية للبربر الخلص و الجزائرية للبربر المتعربين والعربية الدارجة للعرب ، بينما اعتبر الفصحى غير مهمة . وكان يرى ان كلمة " القبائل " في الدارجة تشير الى جميع البربر ، حيث كانت القبائل تمثل جزءا كبيرا منهم . وفي نظره ، يمكن التمييو بين البربري والعربي بناءا على مدى إيمانه بالحضارة الأوروبية وقربه من الفرنسيين .[4]

---

[1] عالج الموضوع في مؤلف هام فهو أستاذ الشريعة الإسلامية والعرف البربري بكلية الحقوق بالعاصمة عهدت إليه إدارة الشؤون الأهلية بتدوين الفقه الإسلامي أوائل هذا القرن

-MORAND (Marcel), Etudes De Droit Musulman Et De Droit Coutumier Berbère, Ed Jourdan, Paris.

[2] .1913 P19عن فحوى معارضته لنظام المملكة العربية وتبنيه لفكرة استقطاب البربر إلى الحضارة المسيحية الأوروبية راجع كتابه السالف الذكر

-WARNIER : L'Algerie Devant L'Empreur, 1865.

[3] آجرون المسلمون الجزائريون وفرنسا: ج 1، ص ص499 – 500.

[4] سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ص 313.

ومن جهة أخرى ، زعم وارنييه ان البربر كانوا في الأصل مسيحيين ثم اعتنقوا الإسلام على مضض ، وان اسلامهم كان سطحيا . واعتبر القرآن عندهم ليس قانونا او دستورا، بل مجرد كتاب ديني ، وانهم في القضايا الدينية والسياسية يعتمدون على العرف (الذي كان يسمى " الكانون " عند الرومان المسيحيين). وأضاف ان العديد من النساء البربريات كان لديهم وشم على جباههن ووجناتهن على شكل صليب، وان النظام الاجتماعي البربري كان اقرب الى التنظيم الأوروبي ، معتبرا ان القبيلة في المجتمع البربري تشبه البلديات في الأنظمة الأوروبية .[1]

أما البرهان الأخير الذي قدمه وارنييه في دعوته لتغيير السياسة الاستعمارية جذريا كان مبنيا على فكرة ان البربر يشكلون الأغلبية بينما العرب يشكلو الأقلية ، مما يقتضي تعدديل المعاملة معهم .

ووفقا لحدسه أكد ان بعض الأهالي المعربين كانوا في الماضي " بربرا " حيث تبنى نظرية تفترض وجود "عرب تبربروا وبربر تعربوا " . ثم استند الى الأرقام غير دقيقة ، لكنها استمرت لفترة طويلة في الدراسات بناءا على تقديرات النقيب " كاريت" (Carette)والجنرال هانو تو(Hannoteau) ، فأكد أن الجزائر تضم 1200000 بربري معربين، و 1000000 بربري، و 500000 عربي[2] .

ورغم الضجة التي أأثارها وارنييه وأمثاله من المدافعين عن هذه الأفكار ، تجدر الإشارة الى ان فرنسا لم تتخلَّ عن أي جزء من الجزائر لصالح احد هذه الفئات ، حتى وإن كانوا يعتبرون الأقرب اليها أو اكثر ولاءً . فقد كانت فرنسا تعامل جميع الجزائريين ك " رعايا فرنسيين " أولا و " أهالي " ثانيا . وعند الاستيلاء على الأراضي وتوزيعها على المستوطنين ، لم يسأل الجزائري إذا كان من الساكن المستقرين أو رحل وكانت العواقب النتجة عن الثورات واحدة للجميع . من الغريب أن وارنييه ، الذي كان يمدح البربر وهدوئهم بعد عام 1857

[1] لتفاصيل أكثر عن تصور وارنيي للمسألة البربرية المنبثقة من الأسطورة القبائلية راجع مؤلفه:

-WARNIER, L'Algerie Devant L'Empreur, p. 12 .

-BIBESCO (Prinse Napoléon), «Les Kabyles Du Djurdjura. La Société Kabyle Avant La Conquête Depuis La Conquête, La Pacification. De La Grande Kabylie Au Temps De La Régence D'Alger Et La Nationalite Kabyle Sous La Domination Française », In RDM, 1865-1866 (4 longs articles).

اقترح خلالها تحالفا فرنسيا – قبائليا فهو يتضمن أخوة في الطباع والأفكار فلتن قدر الثورة جديدة أن تنفجر في الجزائر، فإن القبائل الكبرى سوف تمر من خلالها هادئة مطمئنة أمام الاندفاع العربي .... وهذا ما ستدحضه ثورة 1871 بحكم أن انطلاقتها ومددها الشعبي كان من منطقة القبائل

[2] لقد عرض كاريت (carelle) سنة 1853 الأرقام التالية 1279450 بربريا، غير أن الكولونيل هانوتو قد أفضى بعد تحقيق أجري في 1860 إلى رقم 855159 ناطقا بالبربرية، وقد قدر وارنيي سنة 1865 أن هذا الرقم يكون قد نقل إلى المليون، وفي جريدة الاقتصاديين (Journal Des Economiste)تمسك صديقه جول دوفال Jules Duval بالرقم القائل بوجود 700000 بربري ومليوني عربي. وفي تقدير شبه سنة 1865 ، وردت الأرقام التالية 978179 قبائليا 209515 بربريا و 1131599 عربيا(في الوقت الذي بلغ تعداد السكان الأهالي 2732851 سنة رسمي1861م)، انظر: آجرون، المصدر نفسه، ص 503.

، ويعتبرهم أقرب الى الحضارة الفرنسية بسبب تواصهم القديم مع الرومان ، هو نفسه من أسس المحاكم والمشانق بعد ثورة 1871 ، ونهب أراضيهم وفرض عليهم غرامات ثقيلة . [1].

ربما يكون وارنييه قد راجع بعض أفكاره في وقت لاحق بعد الحملة القاسية ضد نابليون وحاشيته [2].

خلال الانتفاضة ، كان الرأي العام الأوروبي ، المتأثر بالأفكار المسبقة ، يوجه اللوم الى " الكبار من السادة والعرب " و " الزوايا الإسلامية " و " الإدارة العسكرية " ، من قضاة مالكيين ، واغاوات ، وقياد عرب . على الرغم من ان هذه الإدارة مارست ضغوطاً على استقلالية هذه الجماعات اقروية ، فإن ذلك لم يمنع من طرد قبيلة عمراوة وتسليم أراضيها للمستوطنين . لم يكن من الممكن إدماجهم ، كما كان يرى البعض ، ليكون ذلك دليلا على ان دعمهم للعنصر الأوروبي سيحميهم من المصير المحتوم الذي كان يعتقد انه ينتظر " العنصر العربي " . وبحسب ماذكره الحاكم العام تحت وفي عز الانتفاضة ، كان الرأي العام " (De Gueydonو آخرون من بعده ، فغن أدماج الشعب القبائلي كان ممكنا في هذه الحالة ، بل كان يجب ان يكون مثالا يُحتذى به . [3]

كما يتضح من أفكار دعاة الإدماج في فرنسا ، فإنهم يتفقون بشكل عام على نفس المبررات التي تدعو لدعم القبائل ، ورغم اختلاف أساليب الخطاب . ففي عام 1833، كتب السناتور كلما جيران (Clamagiran)في دراسة حول الجزائر سنة 1833 صراحة: " إن مصلحتنا تفرض علينا أن نبادر إلى إدماجهم"، أما بول برت[4] (Paul Bert) رئيس جمعية المستوطنين سنة (1833)، فقد أكد في كتابه " رسائل من بلاد.

[1] أصبح من المسؤولين السياسيين البارزين في الجزائر بعد قيام الجمهورية الثالثة.

[2] سعد الله، المرجع السابق، ص316.

[3] آجرون، المصدر السابق، ص503.

[4] قد برهن برت (Bert) من خلال ما كتب على كونه مستعمرا لا يعرف اللين شديد العداوة للأهالي الجزائريين ومن الدعاة إلى مصادرة الأملاك وإلى سن تشريعات قمعية.

راجع كتابه:

-BERT (Paul), Lettres De Kabylie, La Politique Algérienne, Paris, 1885 p 33 et suite

القبائل" الصادر سنة 1885 ، أنه بالرغم من عدائهم بين الفرنسيين والقبائل ، فإن هؤلاء القبائل كانوا ضد تعاليم الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) , مما فتح مجالا للتقارب معهم , معتبرا أن هناك قرابة بينهم وبين المستوطنين الأوروبيين [1].

ومع تحول الأسطورة السائدة إلى عقيدة راسخة كرستها بعض المؤلفات الأساسية لسياسيين مثقفين منظرين من أمثال Essai Sur Les في كتابه)Camille (Sabatier(كاميل صاباتي Berbères الصادر سنة 1882م، و الذي يتماشى مع خط فكر وارنيي Warnier و[2] Masqueray في مؤلفه:

La Formation des Cités chez les Populations Sedentaires De L'Algerie (These 1886).

"وكان صاباتي من أبرز الداعين إلى تبنّي سياسة قبلية، وقد عُرف بانتمائه إلى التيار

المناصر للأهالي. وعلى الرغم من أن تأثيره كان في المقام الأول تنظيريًا، فإنه لم

يكن بالإمكان التقليل من شأن نفوذه. ولا شك أن شخصيته كان لها دور كبير في

الشهرة الواسعة التي حظيت بها مؤلفاته، رغم افتقارها من الناحية النظرية إلى التماسك، ومن الناحية العلمية إلى القيمة الحقيقية ذلك ان امؤلفات التالية :.

- Essai sur l'origine, l'évolution et les conditions actuelles des berberes sédentaires(Revue D'Anthropologie 1882) Etude sur la femme kabyle, (Revue D'Anthropologie (1883).

"تحتوي كلها على كم هائل من الأفكار المبتذلة والتافهة ".[3] مثل:ان الأصول الحقيقية للبربر ، وتفوق القبائل على بقية البربر، والتأسيس السياسي الأمثل " فالمعلم المجهول " الذي أملى القوانين القبائلية، لم يكن

[1] شارل آجرون، المصدر السابق، ص ص505 – 506.

[2] قام برحلة إلى جرجرة سنة 1874 ، وسجل فيها ملحوظات هامة عن منطقة القبائل، كما أعد تقريرا حول التعليم الابتدائي في المنطقة ووسائل تطويره، فكان تقريره ملهم جول فيري في مسألة إنشاء أولى المدارس الوزارية في المنطقة، للمزيد انظر:

-RAMBAUD (Alfred), «Un Pionnier D'Afrique: Emile Masqueray », in RB n° 6 du 9 fev 1895, p.p 162-168.

[3] لنذكر على سبيل المثال المقال الوارد في La Grande Encyclopedie والذي يعود الفضل في نشره إلى مانوفريي(Manouvrier) ، حيث يقوم ببساطة بإبراز نظريات ،صاباتيي، وقام هذا الأخير بإعطاء دروس في سوسيولوجية الأهالي تنشرتها دوريا الصحافة الجزائرية الخاصة بالمستوطنين)، انظر مثلا Le Petit Colon عدد 16 ديسمبر 1884 ، يأتي فيها بأفكار مذهلة على غرار الإيبريون (سكان إسبانيا) هم

من عائلة محمد ولا موسى ولكنه من عائلة ،Condorcet، وMontesquieu بل إن هذا الإنجاز يتعالى عن فكر أولئك القبائل الجبليين لأنه يحمل ختم جنسن[1].

أما ماسكاري(Masqueray) ، فقد طوّر نظرية تقوم على تحليل البنية الاجتماعية للجماعة البربرية من خلال حلقات مترابطة، تمنح للقرية القبائلية (ثادارث) مكانة مركزية، بوصفها نواة حضرية تمتلك مقومات تأسيس مدينة عريقة. وقد انسجم تصوره هذا مع الخطاب السائد آنذاك، إذ رسم صورة إيجابية للبربر المستقرين، باعتبارهم مزارعين، ملاكًا، صناعا مهرة وفنانين، في مقابل تصويره السلبي للبدو العرب".

قدّم ماسكاري (Masquaray) تصوّرًا نظريًا للبنية الاجتماعية لدى الجماعة البربرية، يقوم على حلقات مترابطة تُسند فيها لكل ثادارث (القرية القبائلية) مكانة مستقلة، تؤهّلها لأن تشكّل نواة مدينة ذات طابع حضري عريق. ويبدو أنه تأثر بالسياق الفكري السائد في عصره، ما انعكس في تصويره ال سلبي للبدو العرب، لا سيما عند مقارنتهم بالبربر المستقرين، من فلاحين وملاك حرفيين وفنانين، الذين اعتبرهم دعامة لحضارة أصيلة ومتجذرة

وقد تبنّى ماسكاراي بدوره موقفًا صريحًا في دعم سياسة استعمارية تمييزية، تنحاز إلى القبائل الأمازيغية وتناهض الوجود الإسلامي العربي. فقد أعلن بوضوح: 'إن في الجزائر هو محاربة كل أشكال التوجه الإسلامي، لأنه خصمنا الأزلي. فلنجعل من القوانين القبائلية دعامة قوية لسياستنا، لأنها تختلف عن الشريعة الإسلامية. إن القانون القبائلي، بين أيدينا، أداة بالغة الأهمية؛ فكلما فعّلناه، اتسعت الهوة بين العرب وأولئك الذين هزمهم العرب في الأمس القريب'.أما المهمة الحضارية التي رأى ماسكاراي أنها تليق بفرنسا، بلد الكرم والتنوير حسب زعمه، فهي: 'تحرير البربر من عبودية العرب واستغلال الأتراك.[2]'

[3]واكد لويس رين (Rinn) فقد تبنى بعد حوالي ربع قرن نظرية د. وارنييه ، مضيفا اليها أفكارا معادية للسامية ، فقد ذهب الى ان البربر ينتمون إلى الجنس الهندو–أوروبي، وأن طارق بن زياد قد يكون من

بربر جاؤوا من بربرستان (بين كابول وهرات).

راجع لذلك: شارل آجرون، المصدر السابق، ص 509.

[1] المصدر نفسه، ص510.

[2] يذكر أجرون أن ذو قيدون De Gueydon الحاكم العام الأول في الجزائر المستعمرة بعد قيام النظام المدني بها سنة 1871 كتب أشياء مماثلة جدا في بعض تقاريرهفي جوان 1873م.

[3] يذكر أجرون أن ذو قيدون De Gueydon الحاكم العام الأول في الجزائر المستعمرة بعد قيام النظام المدني بها سنة 1871 كتب أشياء مماثلة جدا في بعض تقاريره في جوان 1873م.

أصل فارسي، وأن الساميين ومنهم العرب، لم يتمكنوا من التنضيم العسكري والسياسي بشكل جيد .واستند في ذلك إلى بحوث أرنست رينان(Renan) ، حيث ادعى أن البربر لم يعتنقوا الإسلام بحرارة ، بل تمردوا عليه مع الحركات الإنفصالية في العهد الذي يُسمى " عهد وصاية الشرق " .لاسيما بحثه المعنون (تاريخ اللغات السامية. واعتمد كذلك على دراسة هنري فورنيل (Fourmel) ، التي حكم فيها بفشل الاحتلال العربي (هكذا وردت لإفريقية، وزعم رين أيضا أن البربر لم يعتنقوا الإسلام بحرارة، بل ظلوا يتمردون عنه مع الفرق الخارجية والحركات الانفصالية، أثناء العهد الذي يسميه أغسطين بيرك (Berque) بعهد وصاية الشرق، ويسميه غوتييه (Gautier) بالعصور الغامضة[1]. وذهب رين أيضا إلى أن اللغة البربرية لغة هندو أوربية تبعا لنظرية رينان وقال أن البربر قوم آريون، وأن الإسلام في آسيا انتشر على يد غير الساميين مثل الفرس والترك وهم طورانيون، أما الإسلام في إفريقية وأوروبا فقد انتشر على يد البربر الآريين". وقارن رين بين الغاليين (سكان غالة) وبين البربر، فقال إن الغاليين

"لقد أشار إلى أن البربر، رغم تعدد الغزاة الذين حاولوا احتلال أرضهم، ظلّوا قادرين على استيعاب هؤلاء دون أن يفقدوا خصوصيتهم أو يذوبوا فيهم. وفي المقابل، تحدّث عن 'الفرنج'—وهو الاسم الذي اختاره لقبيلة بلجيكية تجنّبًا لاستخدام 'جرمانية' أو 'ألمانية'—وكيف فرضوا اسمهم على فرنسا، دون أن يذكر أن المسيحية نفسها فُرضت عليهم أيضًا. وفي السياق ذاته، أقرّ بأن البربر، رغم انفتاحهم على الوافدين، ظلّوا يرفضون الاندماج التام في أيّ ثقافة دخيلة، حتى وإن أبدوا في الظاهر قدرًا من القبول والتكيّف".

"لقد أقرّ رينان بأن البربر، على المستوى السياسي والديني، قبلوا الإسلام وسيادة لغة القرآن، بل وقبلوا العرب أنفسهم، غير أن الجماهير العريضة منهم ظلّت محافظة على طابعها البربري في الثقافة واللغة والانتماء. وختم رينان دراسته بقناعة صريحة مفادها أنه كلما تعمّق في دراسة تاريخ البربر ولغتهم، ازداد يقينًا بأنهم ينتمون إلى الجنس الآري، وأن لغتهم تنحدر من الجذر الهندو–أوروبي، لا من السامية كما هو الحال مع العربية[2].".

"ومهما يكن من أمر، يمكننا الجزم بأن سياسة مناصرة القبائل لم تكن توجهًا ثابتًا، إذ بدأت في التراجع تدريجيًا منذ عامي 1891 و1892، سواء في الجزائر أو في فرنسا، حتى اختفت تمامًا خلال العقدين الأولين

[1] سعد الله، المرجع السابق، ج 6، ص319.

[2] سعد الله: المرجع السابق.

من القرن العشرين[1].غير أن تلك الأفكار لم تندثر، بل ظلّت مبثوثة في السياسات والممارسات الإدارية، ولا تزال آثارها قائمة إلى اليوم. وفي هذا السياق، وانسجامًا مع التوجه المناهض للتعريب، أقدم الحاكم العام شارل جونار (Jonnart) سنة 1904 على إلغاء تسمية 'المكاتب العربية' في منطقة القبائل، واستبدلها باسم 'مكاتب الشؤون الأهلية'، وكان الهدف المعلن من هذا التغيير هو الحد من انتشار اللغة العربية ومحاربة التعريب في المنطقة[2]. **تماما مثلما أوصى بذلك وارنييي من قبل** .

2-الأسطورة عند العسكريين:

بدأت ملامح سياسة التعامل مع 'الأهالي' الجزائريين تتبلور منذ عهد الجنرال بوجو، الذي قام بتوزيع وثيقة مطوّلة تضمّن فيها رؤيته لكيفية إدارة السكان الأصليين وتنظيم علاقتهم بالسلطة الاستعمارية[3].(**ستة فصول) السلالات العرب والقبائل،**"ويُعدّ هذا التصنيف من أوائل المحاولات لفصل الجزائريين وفق أسس إثنية وثقافية، حيث أشار الجنرال بوجو إلى صعوبة إخضاع منطقة القبائل بسبب الجهل الكافي بطبيعة سكانها. كما نوّه بمقاومتهم الشرسة للمكاتب العربية العسكرية التي كانت تمثّل سلطة الحكم الاستعماري في الجزائر. وقد اعتمدت مصالح بوجو على سياسة تقوم على التمييز العرقي، مستثمرة الانقسامات داخل صفوف المقاومة.

وقد كشفت الوثيقة عن رؤية استعمارية تعتبر أن الجزائريين تعاملوا عبر التاريخ مع نوعين من[4] الغزاة، لكن ما كان يوحّدهم دومًا هو التعصّب الديني في مواجهة 'الكفار'. كما وصفت البنية الاجتماعية التقليدية للجزائر بأنها تقوم على تنظيم هرمي يضمّ العرش، القبيلة، الجماعة، والأمين، وهو ما شكّل بنظرهم أساسًا لنظام محلي يمكن مراقبته أو التلاعب به.[5]

---

[1] آجرون، المصدر السابق، ص511.

[2] سعد الله، نفسه، ص ص 290-324.

[3] يذكر سعد الله أن الوثيقة نشرت سنة 1845، عندما كان بوجو في أوج طغيانه بسياسته المعروفة، ويغلب الظن على أن محررها أوجين دوماس Eugene Daumas

-سعد الله، نفسه، ص 308.

[4] إن الواقع التاريخي أثبت ذلك، فبدخول الفرنسيين منطقة القبائل وسعوا الخلاف بين العائلات الحاكمة عائلة أو رابح ضد عائلة أوقاسي، وهذه ضد عائلة سيدي الجودي، وهذه ضد عائلة ابن زعموم، وهكذا.

[5] إن الواقع التاريخي أثبت ذلك، فبدخول الفرنسيين منطقة القبائل وسعوا الخلاف بين العائلات الحاكمة عائلة أو رابح ضد عائلة أوقاسي، وهذه ضد عائلة سيدي الجودي، وهذه ضد عائلة ابن زعموم، وهكذ، راجع مؤلفه للتعمق في المسالة :

"في سياق الحرب الاستعمارية، أتاحت تقارير الضباط الفرنسيين، من أمثال لابين (Lapenne) ودو لا مورسيير(De Lamorcière) ، للقيادة الاستعمارية تكوين تصور أكثر تفصيلًا عن 'البرابرة المتوحشين'، كما كانوا يُوصفون آنذاك. فبعد مرحلة الاستكشاف التي تُوِّجت بإنشاء موقع عسكري في مدينة دلس عام 1844، شُنَّت أولى الحملات العسكرية ضد قبائل وادي الساحل خلال الفترة 1846-1847. وقد عمد العسكريون الفرنسيون إلى تصنيف المقاومين الجزائريين إلى فئتين: الفرسان الذين نُسبوا إلى العرب، والمشاة الذين نُسبوا إلى القبائل، أو ما أُطلق عليه لاحقًا اسم 'كابيل'، وهو أصل المصطلح الاستعماري 'كابيلي' الذي بات يُستخدم للدلالة على منطقة القبائل. ومن هذا التصنيف نشأت التفرقة بين 'القبائل الكبرى (Grande Kabylie) 'التي تشمل منطقة جرجرة، و'القبائل الصغرى (Petite Kabylie) ' التي تضم وادي الصومام، والقرقور، وساحل شمال قسنطينة، وجبال البابور، دونما اعتبار للسان السكان أو هويتهم الثقافية. وبناءً على هذا التصنيف الإثني، رُوّج لفكرة وجود عرقين منفصلين في الجزائر: أحدهما عربي والآخر قبائلي، مع توصية استراتيجية مفادها أن التحالف مع العنصر القبائلي سيمكّن من القضاء على العنصر العربي[1]سرعان ما ترسّخ هذا التصور الثنائي في الاذهان الاستعمارية فكتب الجنرال دوماس)[2] مؤكدا وجود جنسين متميزين في الجزائر : العرب الذي وصفهم بالبدو Daumasوالقبائل الذين اعتبرهم حضريين بطبعهم . وسار على النهج ذاته الجنرال دوفيفييه حيث كرس الفكرة ذاتها مضيفا ان ميل العنصر القبائلي الى العمل سيكون احد العوامل التي يمكن استثمارها في استقطاب هذه الفئة لصالح السياسة الاستعمارية المطبقة في الجزائر.

وكان الكولونال دوماس[3] مع النقيب فابار من دعاة الاندماج مع العنصر القبائلي، لما رأيا فيه من صفات عملية، ونزعة سلمية، وميول فطرية نحو العمل والجد. وقد عبّرا عن أسفهما لتطبيق سياسة استعمارية موحّدة تجاه العرب والقبائل على حد سواء، فانشغلا بجمع المعطيات التي تدعم بناء الأسطورة القبائلية. ووفقًا لتصوراتهما، فإن الشعب القبائلي، الذي يُفترض أنه يحمل جذورًا جرمانية، كان قد اهتدى إلى المسيحية في مرحلة من تاريخه، غير أن هذه الديانة لم تُحدث تغييرًا جوهريًا في بنيته الثقافية. وعند اعتناقه الإسلام، فإنه — بحسبهما — لم يتشربه بالكامل. بل وعلى عكس الأثر الذي خلّفته العقيدة الإسلامية في مجتمعات أخرى،

[4]-DAUMAS (Eugene), Mœurs Et Coutumes De L'Algerie Ed Anep, Alger, 2006.

[3]Dumas et faber: op.cit:p.p. 75-77

فقد وجدا في بلاد القبائل التزامًا شبه مقدّس بقيم العمل، واحترامًا نسبيًا للمرأة، إلى جانب أعراف سائدة تنمّ، في رأيهما، عن روح عدالة ورحمة شبيهة بتلك التي تنسب إلى المسيحية. [1]

كما واصل النقيب كاريت (Carette) أبحاثه المعمقة على نهج من سبقوه، ويُعد من أوائل الضباط الفرنسيين الذين كشفوا عن قانون العقوبات في المجتمع القبائلي، حيث عمل على جمع ونشر تفاصيل الغرامات والعقوبات التي كانت تُعتمد في العرف القبائلي. ،[2]وقد شدّد على أن منطقة القبائل، التي ظلت لفترة طويلة في منأى عن أي احتكاك مباشر معنا واستمرت في مقاومة أشكال السيطرة التقليدية، من الممكن — في غضون سنوات قليلة — أن تتحول إلى الحليف الأمثل في إنجاح مشاريعنا وتحقيق أهدافنا الاستعمارية،[3]ولن يكون من المستحيل بعد الآن خلق فرنسيين جدد " البربر ذوو الأدمغة المستنيرة ؟؟؟ "،[4]وقد جرى تصوير قدماء المسيحيين، خصوصًا في منطقة القبائل، على أنهم مزارعون مستقرون وجادون، وتجار نشطون، ومحاربون شجعان، وهي صورة مثالية تبنّاها وكرّسها عدد من الضباط الفرنسيين، من بينهم البارون أوكابيتين (Aucapitaine) الذين انشغلوا بتطوير هذه النظريات لدعم الأسطورة القبائل

لقد شدّد هذا الضابط الليبرالي، المعروف باهتمامه باكتشاف الكفاءات، في مختلف كتاباته على أن سكان منطقة القبائل لا يُظهرون تمسكًا عميقًا بالدين الإسلامي، بل يبدون فتورًا في التدين، ما جعل عاداتهم وطباعهم أقرب إلى الروح الغربية. ووفقًا لرؤيته، فإن نظامهم الاجتماعي يحمل طابعًا جمهوريًا، وحكمهم يتسم بالديمقراطية، وعمارة قراهم تشبه إلى حد بعيد القرى الفرنسية، خاصة من حيث الأسطح القرميدية الحمراء.

---

[1] اجرون، المصدر السابق، ص 497.

[2] من الناحية العلمية، يبدو المؤلف الذي انجزه النقيب دوفو Devaux والمعنون Ketails De Djerjera سنة 1859 أكثر تميزا لأن المؤلف بسط دراسته على قسممعتبر من منطقة القبائل، مما أسفر عن مدونة لأهم المواد التي تشتمل عليها مختلف المنظومات القانونية للقرى القبائلية.

[3] إن الفكرة القائلة بأن البربر و القبائل سكان منطقة القبائل تحديدا أبناء البلد الأصليين قد حشروا في المناطق الجبلية من طرف الغزاة العرب، صار أمرا مسلما به منذ صدور أبحاث النقيب كاريت، للاطلاع على أفكاره وأطروحاته راجع

Etudes Sur La Kabylie proprement dite 1853 (ouvrage cité auparavant).–Carette - Recherche Sur Les Origines Et Les Migrations Des Principales Tribus D'Afrique Septentrionales Et Particulièrement L'Algerie (1853).

[4] بعد أن اكتشف من يدعون أنفسهم بعلماء الحفريات، نصبا حجريا مسطحا بالمنطقة يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، سارعوا إلى القول بأن ذلك دليل إضافي للقرابة بين البربر والغاليين، بل لقد سمحت الكتابات اللاتينية بتحديد أسماء لكتائب بروطونية. فكان البعض يرى أن بني فراوسن هم من نسل الجنود فرنسيين جاؤوا مع سان لويس Saint Louis بالنسبة للآخرين يكون الجنود الرومانيين ذوو الشعرالآخر والعيون الزرق قد شكلوا أصل الشاوية بالأوراس، ثم تساؤل أجرون: هل من سمعت بعد مائة عام هذه الترهات تردد في العديد من المرات الممكن التصديق بأني وحتى على لسان أستاذ في جامعة الجزائر. إن ذلك على الأقل يعتبر أصدق دليل على ديمومة الأسطورة وطابعها اللامعقول.

راجع:

– آجرون، المصدر نفسه، ص497 .

كما أشار إلى أن وشومهم تتخذ شكل الصليب، وأن يوم راحتهم هو يوم الأحد، وهو ما رآه دلالة ثقافية ذات مغزى. وبدافع من هذا الحماس، توقّع بأن القبائل، في غضون قرن، سيصبحون فرنسيين تمامًا! .[1].

و من جهته، صنّف إيميل كاري (Emile Carrey) سكان الجزائر إلى ثلاث قوميات رئيسية: التركية، والعربية، والقبائلية، مؤكّدًا أن هذه المكوّنات تعيش في حالة من الانفصال والاختلاف فيما بينها. وقد تميّز طرحه بانحياز واضح، حيث خصّ القبائل بعبارات المدح، في مقابل نظرة قدحية تجاه العرب.[2]. وقد وجد بعض منظّري الاستعمار في اللغة أداة فعّالة لتفكيك الوحدة الاجتماعية الجزائرية، حيث اعتبروا أن للبربر لغة شفوية تنحدر من أصول هندو–أوروبية وتتفرّع إلى عدة لهجات. ومن بين هؤلاء، يرى الماريشال بليسيي (Pellissier)أن المجتمع القبائلي يستمد تنظيمه الاجتماعي من النموذج الروماني القديم، الذي سعى سكان المنطقة إلى المحافظة عليه، مضيفًا أن انخراطهم في الإسلام كان ضعيفًا، وأن الفروقات بين العنصر القبائلي والعربي تُعدّ جلية وواضحة"..[3]

لا شك أن تتبع جميع الكتابات والخطابات التي ردّدت أصداء حملة وارنييه (Warnier) المعادية للعرب يندرج ضمن الإطناب، غير أن ما يستحق التوقف عنده هو الإجماع الذي تحقق آنذاك لصالح ما عُرف بقضية القبائل؛ إذ توافدت رسائل المستوطنين على مجلس الشيوخ، حاملةً شهاداتهم أمام لجنة التحقيق لسنة 1868، دعماً لهذا الطرح [4]، كما انضمت رغبات المجالس العامة إلى هذا التوجّه، إذ أجمعت على تأييد مواقف القيادات العسكرية المتعاطفة مع السكان المحليين. وفي هذا السياق، ظهر عمل مرجعي مهم لا يزال إلى اليوم يُعدّ من أبرز المصادر حول المنطقة، وهو كتاب *بلاد القبائل والعادات القبائلية*، ثمرة تعاون بين الجنرال "هانوطو (Hanoteau) "والنائب والمستشار "ليتورنو .(Letourneux) "ورغم أن المخطوط كان جاهزًا منذ عام 1868، فإن نشر أجزائه الثلاثة لم يتم إلا في سنة 1872. ورغم سعي المؤلفين إلى الالتزام

[1] انظر ما أورده في هذا المنحى في كتابيه:

-LE BARRON AUCAPITAINE, Le Pays Et La Societé Kbyle (1857)
-CARETTE, Etude Sur Les OriginesEt Les Migrations Des Principales Tribus Septentrionales D'Afrique Et Particulirement L'Algerie (1853).

[2]-CARREY (Emile), Recits De Kabylie, La Conquete De 1857 (Edité en 1858).

[3] **للمزيد انظر**:

–PELLISSIER (De Raynaud), Etat Actuel De L'Algerie (1863).

[4] أرزقي فراد: تاريخنا وأقلامهم: الجنرال أو دلف هانوتو وطبائع زواوة ، الشروق اليومي، عدد 2366 ليوم الأربعاء 27 رجب 1429هـ / 30 جويلية 2008 (الدراسة في حلقتين).

بالمنهجية العلمية وتجنّب الانسياق وراء الأوهام التي روّج لها أنصار القضية القبائلية، فإن عملهما قد أسهم بشكل بارز في إثراء الأدبيات التي تناولت مرحلة اكتشاف منطقة القبائل .[1]

كان سكان منطقة جرجرة، المعنيين الأوائل بهذه التصنيفات الإثنية، يردّون عادةً على من يسألهم عن أصولهم بأنهم من العرب، مع استثناء ثلاث قبائل فقط يُعتقد أنها قد تكون ذات أصول فارسية. كما عبّر هؤلاء السكان عن احترامهم لما يُعرف بـ 'المرابطين النصارى'، أي رجال الدين المسيحيين، شرط ألا يُبدوا عداءً أو إساءة للإسلام.

وعلى غرار ما وقع في جهات أخرى، توجه عدد هام من عائلاتهم، ضاق بها العيش في ظل الاحترام إلى البلدان العربية المجاورة أو المشرقية، على رأسها سوريا وفلسطين.[2]

ونظرًا لتجذّر الأسطورة القبائلية في الوعي الاستعماري، فإن هذه الصورة النمطية لم تنهَر حتى في وجه الثورة العارمة التي شهدتها منطقة القبائل سنة 1871. فقد واصل كل من أوكابيتين(Aucapitaine) ، ووارنييه(Warnier) ، وبيبسكو (Bibesco) تأكيدهم على أن منطقة القبائل، التي قيل إنها خضعت طوعًا للهيمنة الفرنسية، ستبقى محايدة إزاء التحركات والاندفاعات العربية.[3]، "وها هي منطقة القبائل نفسها تعلن تمردها، وها هي قراها، التي طالما وُصفت بالهادئة، تنتفض بدرجة تفوق ما شهدته المناطق العربية. وكان من المفترض أن يستدعي هذا الحدث مراجعة جدية لتلك التصورات السابقة، وإعادة النظر في التقديرات التي طالما بُنيت على أسطورة الولاء القبائلي للسلطة الاستعمارية.

لكن ما حدث كان عكس المتوقع، إذ بلغت الأسطورة البربرية ذروتها بين عامي 1871 و1891، مستحوذة على اهتمام واسع في الأوساط السياسية والإدارية الفرنسية. ولم يصمد في وجه هذا المد سوى عدد محدود من قدماء الضباط العاملين في المكاتب العربية، والذين كانت لهم دراية معمّقة بخلفيات التحركات

[1] آجرون، المصدر السابق، ص ص501 – 502

[2] انظر ما ذكرناه سلفا نقلا عن أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، حين ذكر أنأصل البربر من بلاد كنعان ما (بين النهرين) وكذلك دراسة ميير (Meyer) المنشورة في المجلة الإفريقية عدد سنة 1858:

-MEYER (Alphonse), «Origines Des Habitants De La Kabylie D'après La Tradion Locale» In RAnº3 Année 1895 .p.p. 357-367.

[3] شرف الدين، المرجع السابق، ص 7 و أنظر: آجرون، ص 502.

السياسية ودوافعها الحقيقية. غير أن الزمن تجاوز هؤلاء، في ظل زحف تيار واسع من المتحمسين الذين عملوا على ترسيخ الأيديولوجية الداعمة للقضية البربرية وتعميمها كخيار استراتيجي في السياسة الاستعمارية .[1]

3-الأسطورة عند رجال الدين:

"تسود في كتابات عدد من المفكرين الفرنسيين أطروحة مفادها وجود تباين في الأهداف والنوايا بين رجال الدين ورجال السلطة العسكرية الفرنسية في الجزائر. فبينما كان العسكريون يتحفظون على إطلاق يد الكنيسة في الأوساط الإسلامية، خشية من إثارة الفتن وزعزعة الاستقرار، كانت الحكومة الفرنسية، عبر تصريحاتها الرسمية وممثليها، تؤكد أن دور الكنيسة ورجال الدين يقتصر على خدمة الجالية الأوروبية في الجزائر، لا على التبشير أو استعادة المسيحية في بلاد الإسلام. وتشير تلك الأطروحات إلى أن العديد من القادة العسكريين كانوا في واقعهم لا يضمرون تديناً عميقاً، وكان دافعهم الأساس هو الحفاظ على النظام العام. وفي السياق نفسه، توصف غالبية المستوطنين الأوروبيين بأنهم من غير المتدينين، إذ كانوا ينتمون إلى طبقات اجتماعية دنيا، يطغى على سلوكها الطابع النفعي والانشغال بالمكاسب المادية أكثر من الالتزام بالقيم أو العقيدة ، "ومن بين فئات المستوطنين أيضاً سياسيون نُفوا إلى الجزائر في سياقات أزمات سياسية مختلفة، وكانوا في معظمهم من دعاة اللائكية وغير المعنيين بالشأن الديني. كما ضمّت هذه الفئات عدداً من الصحفيين والمترجمين المنتمين إلى التيارات الاشتراكية المثالية، وخصوصاً تلك المتأثرة بالسانسيمونية، وهي نزعة فكرية تجمع بين الطوباوية الاجتماعية والنفور من المؤسسات الدينية التقليدية.[2].ويرى عدد من الكتّاب أن الجمهورية الفرنسية الثالثة قد شنّت، كما يُقال، حملة شرسة ضد الكنيسة، وبوجه خاص ضد رهبنة الجزويت، حيث قامت بتقليص نفوذهم السياسي والاجتماعي. وقد تُوّج هذا التوجّه بإعلان فصل الدين عن الدولة في مطلع القرن العشرين، مما أجبر رجال الدين على الانسحاب من الحياة العامة وتقييد نشاطهم بشكل ملحوظ ..[3]

استعملت" لقد لجأت الكنيسة، في مساندتها للاحتلال الفرنسي للجزائر، إلى تسويغ الاستعمار بذرائع دينية وأخلاقية، إذ ربطت بين 'حق التنصير' و'حق التوسع الاستعماري'. وقد تأسّس هذا الطرح على الاعتقاد بأن الله خلق الأرض وثرواتها لجميع البشر، وبالتالي لا يحق لأي أمة أن تمنع غيرها من الوصول إلى تلك الخيرات. واستُدلّ على ذلك بوصية الإنجيل: 'اذهبوا وعلّموا جميع الأمم'، في إشارة إلى وجوب نشر الدعوة

[1] من أمثال الحاكم العام شانزي(Chanzy) ، والجنرال وولف (Wolf والرائد رين(Rinn) والمقدم فيو (Villot)

[2] عن دور السانسيمونية في الجزائر راجع: حميدة عميراوي، **من تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى ,عين مليلة ، 2004، ص ص76-70.

[3] سعد الله، ج 6، ص ص 105 - 106

المسيحية. ومن هذا المنطلق، أصبح التبشير والاستعمار والاستيلاء على الموارد خيطًا واحدًا يُجيز استعمال العنف ضد كل من يُقاوم السيطرة الأجنبية دفاعًا عن أرضه أو دينه أو ثرواته " .[1]

"اضطلعت الكنيسة بدور محوري في إضفاء بعد ديني–صليبي على عملية الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث سعت إلى تحقيق أهداف استراتيجية كبرى تعبّر عن المشروع الكنسي الفرنسي، الذي حظي بمباركة البابوية في روما. وقد انطلقت هذه الأهداف من توظيف الفوارق العرقية داخل المجتمع الجزائري، خاصة عبر التركيز على العنصر البربري. وتجلّت هذه المقاصد بوضوح في الخطابات الكنسية والأدبيات التنصيرية، وكذا في النشاطات الميدانية التي اتخذت من التنصير وسيلة لاختراق البنية الدينية والثقافية للجزائر **هي في الأساس** :

مثّلت إحدى أبرز محاولات الكنيسة الفرنسية في الجزائر في بعث الكنيسة الإفريقية الرومانية القديمة، عبر إعادة كتابة تاريخها وتسليط الضوء على معالمها الحضارية والدينية، في مسعى لإبراز جذور مسيحية مزعومة للمنطقة وتقديمها كامتداد طبيعي للكنيسة الكاثوليكية، تمهيدًا لإضفاء شرعية تاريخية ودينية على مشروع التنصير المرتبط بالاحتلال".

نظر منظّرو الكنيسة الفرنسية إلى إحتلال الجزائر باعتباره فتحًا مسيحيًا جديدًا، يُمثّل بدايةً لإحياء أمجاد الماضي وتحقيق الحلم التاريخي المتمثل في 'إفريقيا المسيحية'، من خلال استرجاع الهيمنة الدينية التي عرفتها المنطقة إبّان الحقبة الرومانية المسيحية".

–سعت الكنيسة الفرنسية إلى استحضار العهدين الروماني، وبشكل خاص البيزنطي، لتمنح لحركتها التنصيرية في الجزائر شرعية تاريخية تمتد لقرون، مؤكدة أن بلاد البربر كانت مهدًا لقديسين كبار أمثال القديس سيبريان(Saint Cyprien) ، في محاولة لإعادة وصل الحاضر بالماضي المسيحي للمنطقة.

Saint Augustin [2] سانت أوغسطينSaint Cyprien

[1] الحبيب الجنحاني، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر ، **الأصالة**، عدد 16 سنة 1976 ص24

[2] المزيد من التفاصيل راجع :

-LECLERQ, L'Afrique Chrétienne (2 Volumes) Paris 1903
Volume 1: L'Episcopat De Saint Cyprien (249-258) Volume 2: L'Episcopat De Saint Augustin (396-430).

" صُوّر الفتح الإسلامي للجزائر على أنه خطأ تاريخي جسيم، حال دون استمرارية الحضور المسيحي، وخلق قطيعة طويلة الأمد بين الكنيسة الرومانية والمنطقة، قطيعة يصعب محو آثارها بسهولة، وهو ما جعل المشروع التنصيري الجديد يسعى لردم هذه الفجوة التاريخية واستعادة ما اعتُبر موروثًا ضائعًا .

-سعى المشروع الكنسي إلى إعادة كتابة تاريخ الكنيسة الإفريقية بغرض إضفاء مرجعية تاريخية عميقة تعود إلى قرون غابرة، تمهيدًا لإعادة ترسيخ حضورها في أرض كانت، في الماضي، مجالًا حيويًا وفعّالًا لنشاطها الديني والثقافي.

سعى الخطاب التنصيري إلى إضفاء بُعد حضاري على نشاطه التبشيري بشكل عام، مع التركيز بشكل خاص على منطقة القبائل، بوصفها امتدادًا للمسيحية القديمة، ومحاولة إبرازها كحاضنة تاريخية لحضارة مسيحية مزعومة .

العمل على إعادة تشكيل البنية المؤسساتية الدينية في الجزائر بما يخدم التوجهات التنصيرية، وذلك على حساب الهوية الدينية الإسلامية التي تمثل العمق الحضاري للبلاد.[1]

عند العودة إلى الأدبيات المسيحية التي تناولت المسألة البربرية وأسست لما يُعرف بالأسطورة البربرية، يمكن الإشارة إلى عدد من المصادر المرجعية التي تُمكّن الباحث من الاطلاع على هذا التوجه الفكري، وقد شكّلت المسألة البربرية محوراً مشتركاً بين هذه الكتابات، سواء في أهدافها التنصيرية أو في مضامينها الإيديولوجية منها:

- Poujoulat (mgr), Etudes Africains (2 tomes) 1847

-Dugas (le père), La Kabylie et le Peuple Kabyle 1847.

Grussenmeyer (mgr), Cinq Année D'Episcopats En France Et En Afrique Document Biographiques Sur Son Emminence Le Cardinal Lavigerie 1882 (2 tomes)

-Baunnard (mgr), Le Cardinal Larigene 1898 (2 tomes

- Dupuch (mgr), Essai Sur L'Algerie Chrétienne 1946

[1] لعل أبرز هذه الهياكل كاتدرائية السيدة الإفريقية بسانت أوجين (بولوغين حاليا) التي مازالت جائمة على أرض الجزائر . انظر تفاصيل أخرى في مقال: سعيدي مزيان: منطلقات المشروع الكنسي الفرنسي في الجزائر،" **حولية المؤرخ**، العدد، جويلية 2005، ص ص 151-175.

- Godard (abbé) La Nouvelle Eglise D'Afrique 1858

لقد تم التمهيد لتبني السياسة البربرية، التي استندت إلى الأسطورة القبائلية القائمة على فكرة ضعف الوازع الديني لدى البربر وارتباطهم العميق بالمسيحية القديمة، حتى قبل وقوع الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث ساهمت بعض الكتابات والبعثات الاستشراقية والتنصيرية في رسم ملامح هذه الرؤية وتكريسها كإطار مرجعي للسياسات الاستعمارية اللاحقة[1] .

ومما لا شك فيه أن القس راينال(Raynal) ، أو ربما بعض الكتّاب الذين استعاروا اسمه لتوقيع كتاباتهم، يُعد من أوائل من تطرقوا إلى ما عُرف لاحقًا بالأسطورة القبائلية؛ حيث خصص القسم الأول من كتابه *التاريخ الفلسفي لإفريقيا الشمالية* لعرض تصورات حول الخصوصية القبائلية، ما يُعد تمهيدًا مبكرًا لتكوين صورة نمطية مؤدلجة عن المجتمع البربري ،[2]

وقد صدر كتاب *التاريخ الفلسفي لإفريقيا الشمالية* سنة 1826 بعد وفاة القس راينال(Raynal) ، ويُرجح أن الكاتب الذي أتمه ونقّحه هو .(Puchet) وقد رصد هذا العمل الملامح الأساسية لما سُمي لاحقًا بالخصوصية البربرية، إذ تناول وجود لغة بربرية أصيلة وإن كانت محدودة المفردات، ونزوعًا فطريًا إلى الاستقرار يقابله ميل حاد إلى الحرية. وقد بدا المؤلف مطّلعًا على أبرز الأطروحات التي ساهمت في ترسيخ ما يُعرف بـ"الأسطورة القبائلية"، لاسيما فرضية انحدار البربر من أصول شمالية أوروبية، تحديدًا من الوانداال، بما يدعم ذلك من سمات جسدية كالعيون الزرقاء والشعر الأشقر. كما أشار إلى فتور تدينهم، وانتمائهم السطحي للإسلام، وخضوعهم في بعض الفترات لهيمنة المرابطين، مع تمسكهم الدائم بالاستقلال. وقد منح العامل الجغرافي لهذه المنطقة — بوعورتها وتضاريسها الوعرة — نوعًا من الحصانة الطبيعية ضد السيطرة الأجنبية، وهو ما عزّز لديهم، حسب المؤلف، نزعة الحرية الكاملة .[3]

[1] راجع دراسة بوعزة، المسألة البربرية، مرجع سابق، (الفصل الأول من الأطروحة).

[2] القس رينال (Raynal) التاريخ الفلسفي والسياسي للاستيطان الأوروبيوالتجارة الأوروبية في إفريقيا الشمالية إنجاز نشر بعد وفاته بعرض عن حالة الاستيطان من طرف بوشي Peuchet باريس 1826 (جزءان).

[3] غير أن المؤلف، وهو يتميز بكفاءة تتجاوز بكثير ما أظهره منافسوه من بعده، لميكن يجهل أن الأتراك قد أخضعوا العديد من العروش القبائلية، وأقاموا مستوطنات عسكرية وبنوا الأبراج، وكانوا يفرضون بواسطة المرابطين نفوذا شاملا على مجريات حياة العروش القبائلية، وكان القبائل معجبين ببعض مناقب الأتراك حيث توجد أغنية قبائلية تصور التركي دائما بأوصاف الشجاعة والكرامة.

انظر: آجرون، المصدر السابق، ص 494.

كما تبنى المسألة أحد أقطاب التنصير في الجزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهو الكاردينال لافيجري.[1](1867- 1892) ، وقد سلّط المؤلف الضوء على خصوصيات منطقة القبائل، معتبرًا إياها منطقة تقع في أعالي الأطلس، حيث لا تزال، بحسبه، آثار الليبيين والبربر الذين يشكلون عماد السكان المحليين. ووصفها بأنها 'لبنان إفريقي' أهملته أوروبا بعد أن انحسرت منه المسيحية مع مرور الزمن. ولم يلبث أن انتقل إلى رسم صورة مغايرة للمجتمع القبائلي تميّزه عن المجتمع العربي، قائلاً: 'إنه مجتمع مثابر، بسيط، شجاع، مستثنى من التعصب لدين فُرض عليه بالقوة، وقد انفصل عن العرب نتيجة شعور بالاضطهاد المزدوج، كمضطهِد ومضطَهَد. لم يخضع للسلطة العثمانية، واحتفظ بتقاليد مسيحية، كإشارة الصليب، وحتى في قوانينه المدنية. إن القبائل، بحسب رؤيته، مُقدّر لهم أن يتحالفوا معنا وأن يعودوا إلى حضارة ننتمي إليها معًا'[2].

شبّه الكاردينال لافيجري سكان منطقة القبائل بسكان الأقاليم الجبلية في لبنان، ولا سيما المسيحيين الموارنة الذين احتموا بالجبال هربًا من الفتح الإسلامي. وكان يرى أن بإمكان الآباء البيض أن يُعيدوا 'موارنة' بلاد القبائل، أي إعادتهم إلى ديانتهم الأصلية. وقد نجح لافيجري في التأثير على الأميرال ديغيدون (Amiral Deguédon)بإقناعه بأن سكان المنطقة ينحدرون من أصول مسيحية رومانية، وأنهم لا يرون أفضل من العودة إلى ما وصفه بـ'دينهم الصحيح'. كما ادّعى أن الدم الذي يجري في عروقهم هو نفسه الذي يسري في عروق الفرنسيين، وهو ما جعله يشرع في تنفيذ مشروعه القائم على تنصير سكان القبائل وإعادتهم إلى المسيحية.[3]

إن الهدف الأساس من هذه الرؤية كان يتمثل في خلق شرخ طائفي داخل النسيج الاجتماعي الجزائري، يمكن للسلطة الاستعمارية الفرنسية استغلاله لخدمة أغراضها السياسية، لاسيما من خلال سياسة الإدماج في المجتمع الفرنسي. وفي هذا السياق، صرّح الكاردينال لافيجري قائلاً: 'يوجد في الجزائر شعبان، أو بالأحرى

[1] شارل مارسيال أنطوان لا فيجري (Antoine Lavigerie(Charles Martial ولد في أكتوبر 1825 بمدينة وير (Huire) قرب بايون(Bayonne)) من عائلة برجوازية، دخل إكليركية اللاهوت سنة 1854 ، عين رئيسالأسقفية الجزائر سنة 1867.

التفاصيل أكثر عن شخصه ونشاطه التنصيري راجع رسالتنا للماجستير المنجزة سنة 1999 م:

-سعيدي مزيان، النشاط التبشيري للكاردينال لا فيجري في الجزائر (1867 - 1892)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1998 - 1999.

[2]-LAVIGERIE (ch, m), Œuvres Choisies, Lib Poussielgues, Paris, 1884, T1, p. 47.

[3] لويس هنري دوقيدون Louis Henri De Gueydon أول حاكم عام في الجزائر بعد انتصاب الحكم المدني (1871 - 1873) خلفه شانزي.

عرقان؛ فمن جهة هناك البربر أو القبائل وهم السكان الأصليون، ومن جهة أخرى العرب وهم شعب غازٍ. ومنذ دخولنا الجزائر لاحظنا أن القبائل يضمرون كراهية للعرب الذين فرضوا عليهم سيطرتهم بالقوة .[1]

عبّر الكاردينال لافيجري عن أسفه العميق لأن فرنسا، منذ 5 جويلية 1830، لم تسعَ إلى إيصال رسالة العلم الأبيض الفرنسي الذي رُفع في القصبة، كرمز للتحرر من راية إسطنبول الخضراء التي ارتبطت في المخيال المحلي بالاضطهاد العثماني. وأكد قائلاً: 'كان من الواجب، منذ الأيام الأولى، أن نُسمع سكان الجبال والوديان والمروج نداء الخلاص، وأن نظهر لهم أننا جئنا لننشر نور الحضارة والتقدم، ولنعيد إلى هذا البلد شرف ماضيه المسيحي'. إلا أن فرنسا – بحسبه – ارتكبت خطأً فادحاً حين لم تُفرّق بين العرب والبربر، بل عاملتهم جميعاً كخصوم، وهو ما أدى إلى توحيد صفوفهم في مواجهة عدو مشترك هو الوجود الفرنسي، وهو ما تجسد بوضوح في ثورة الإخوان الرحمانيين سنة 1871[2] .

"كان رجال الدين الفرنسيون يزعمون باستمرار أنه، منذ توقف المكاتب العربية عن عرقلة أنشطتهم، أصبح سكان منطقة القبائل يطالبون رئيس أساقفة الجزائر بإحلال المبشرين محل مرابطي الزوايا. غير أن هذا الادعاء لا يستند إلى وقائع موضوعية، إذ لم يُسجَّل أي التماس فعلي من طرف القبائل يطلب تدخل الآباء البيض أو الآباء اليسوعيين، بل على العكس، تقدمت العديد من العائلات القبائلية بتظلمات إلى الإدارة الفرنسية احتجاجاً على الأنشطة التبشيرية، إلا أن هذه الأخيرة لم تباشر التحقيق فيها إلا بعد سنة . 1879[3]

لم يتقبل الكاردينال لافيجري ذلك الفشل النسبي، بل حمّل السلطات الفرنسية مسؤولية الإخفاق في تنفيذ المشروع التبشيري، إذ عبّر في حوار صحفي أجراه مع جريدة ***Le Temps*** بتاريخ 17 مارس 1885 عن خيبة أمله، متهماً ممثلي الإدارة الفرنسية بالتحول إلى ما يشبه 'مبشرين بالقرآن' في منطقة القبائل، حيث اصطفوا إلى جانب العرب الذين – بحسبه – كانوا موضع كراهية لدى القبائل. كما اتهمهم بإقامة نظام اجتماعي يُشبه الأرستقراطية العربية، وهو ما حال – في رأيه – دون تحقيق اختراق ديني كبير. وادعى أنه لو تُرك له ولرجال الدين حرية التصرف، لكانت منطقة القبائل قد اعتنقت المسيحية، ولأصبحت بالكامل

[1]- EMERIT (Marcel), «Le Probleme De La Conversion Des Musulmans D'Algerie Sous Le Second Empire, Le Conflit Entre Mac Mahon Et Lavigerie >>> In RH,T23, 1960, p.84
[2]-RENARD (Edmon), Le Cardinal Lavigerie, Ed Spes, Paris, 1926, p.p. 129-130
[3] Lavigerie :op.cit : p.401.

مسيحية في ظرف لا يتجاوز خمسة عشر عاماً. وبعد مرور هذه المدة، ظل لافيجري يردد الأطروحات ذاتها المستندة إلى الأسطورة القبائلية، موجهاً انتقادات مكررة للسلطات الفرنسية بنفس الصيغة التقليدية.[1]

4-الأسطورة في متون الدراسات البربرية(Etudes Bèrbères):

استندت الإدارة الفرنسية ودارسو البربريات في تبرير مواقفهم إلى مجموعة من الحجج التي رأت في البنية الثقافية والدينية لسكان منطقة القبائل خصوصية تميزهم عن غيرهم من سكان الجزائر، معتبرين أن هذه الخصوصية تمثل مدخلاً ملائماً لسياسات الإدماج والتفريق، بما يخدم مصالح الهيمنة الاستعمارية[2] ادعت الإدارة الفرنسية ودارسو البربريات أنهم يسعون إلى حماية الهوية الإثنية للسكان الأصليين لشمال إفريقيا، والمقصود بهم البربر، من التهديد الذي تمثله الهيمنة العربية. ومن بين أبرز الدراسات التي روجت لهذا الطرح، تبرز أعمال *فانتوردو بارادي* (Venture de Paradis)في القرن الثامن عشر، لا سيما معجمه الشهير *Dictionnaire de la Langue Berbère*، الذي نُشر سنة 1844 مرفقًا بشرح باللغة الفرنسية ومقدمة نحوية. وقد ارتبط هذا الاهتمام باللغة الأمازيغية بالمعرفة الواسعة التي اكتسبها المؤلف أثناء إقامته في الجزائر، عندما أوفد سنة 1788 من قبل وزير الحربية الفرنسي آنذاك، دي كاستري(De Castry) ، لتسوية النزاع القائم بين الدولة الجزائرية والحكومة الفرنسية. وبذلك يُعد دي برادي من أوائل منظّري المسألة البربرية في الفترة السابقة للاحتلال الفرنسي، من خلال مؤلفاته التي خدمت بوضوح الأطروحة البربرية في مختلف أبعادها[3]

وأثناء مرحلة الحكم العسكري، وتحديدا سنة 1844م، أرسلت الحكومة الفرنسية المهندس هنري فورنال (Fournel)في مهمة للجزائر. ورغم أن مهمته كانت هي البحث عن المناجم وكيفية استخراج المياه الجوفية، فإن فورنال أبي إلا أن يكتب عن تجربته في الجزائر التي زارها شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، رغم الوضع غير المستقر. ثم ألف كتابه في مرحلة الحكم العسكري الفرنسي للجزائر، وبالضبط سنة 1844، أوفدت

[1] كذلك كان الأمر سنة 1880، حين تم إرسال ثلاثة من شباب القبائل من غير موافقة أوليائهم إلى مؤسسات دينية تنصيرية.

[2] أحدث الاستجواب الذي أقامه لا فيجري مع صحيفة لوتان Le Temps يوم 17 مارس 1885 ضجة كبيرة في فرنسا والجزائر، مما أعطاء قوة إضافية، فأقدم على التخاذ قرار سنة 1886 مفاده أنه بوسع المنصرين في منطقة القبائل بعد الآن (وقتئذ طبعا)أن يقوموا بتدريس تاريخ الديانة المسيحية.

انظر: آجرون، المصدر السابق، ، ص ص 505 – 504.

[3] بوعزة بوضرساية: المرجع السابق.

الحكومة الفرنسية المهندس هنري *فورنال* (Henri Fournel)في مهمة تقنية تتعلق باستكشاف المناجم وطرق استخراج المياه الجوفية. ورغم أن طبيعة المهمة كانت ذات طابع اقتصادي وعلمي، إلا أن فورنال لم يكتف بالجوانب التقنية، بل حرص على توثيق تجربته الشخصية في الجزائر التي جابها من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها، رغم الأوضاع الأمنية غير المستقرة آنذاك. وقد أثمرت هذه الرحلة تأليف كتابٍ دوّن فيه ملاحظاته وانطباعاته عن الجزائر في تلك المرحلة.[1] ,تناولت الكتابات الفرنسية الاستعمارية مسألة ما يُعرف بالفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، والذي وصفه الفرنسيون باحتلال العرب لإفريقية، حيث ذهب بعضهم إلى أن العرب قد فشلوا في مهمتهم الحضارية في المنطقة. وقد تلاقت هذه الأطروحة مع توجهات السياسيين والعسكريين الفرنسيين الذين اعتبروا أنفسهم، إلى جانب الرومان فقط، القادرين على السيطرة الناجحة على الجزائر، بخلاف العرب والأتراك الذين وُصِفوا بالفاشلين في ذلك. وقد وجد هذا الرأي صدىً لدى رجال الكنيسة، الذين سعوا إلى محو اثني عشر قرنًا من الحضور الإسلامي، وإعادة الجزائر إلى ما اعتبروه عهد الكنيسة الإفريقية الرومانية. ولم يكن الهدف الحقيقي من هذا الطرح، بالنسبة للفرنسيين، هو البحث العلمي المحايد في الأصول العرقية أو اللغوية، بل كان الهدف السياسي الأهم هو خلق عداوات داخلية يمكن توظيفها لتقسيم الصفوف المناهضة للاحتلال .[2]

أما عهد النظام المدني فنذكر دراسة أرنست مارسيه

(Ernest Mercier)التي قدمها سنة 1884 تحت عنوان أهالي القطر الجزائري.[3]"شهد عام 1886 بروز إيميل ماسكاراي (Émile Masqueray) كأحد أبرز المهتمين بالمسألة البربرية، إذ كرّس جهوده لدراسة اللهجات البربرية، مركّزًا بشكل خاص على سكان الأوراس الذين اعتبرهم بربرًا مثل سكان منطقة القبائل، غير أن تعريبهم، بحسب تصوره، قد تم بشكل أيسر مقارنة بغيرهم. أما محاولة تعريب القبائل، فقد رأى ماسكاراي أنها جوبهت بالرفض الصريح، سواء من خلال الاحتجاجات أو المقاومة المسلحة، وهو ما دفع الأهالي إلى تقديم عرائض إلى السلطات الاستعمارية اعتراضًا على تلك المساعي".

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 ، ص 30 – 41.

[2] -FOURNEL (Henri), Les Berbères: Etudes Sur La Conquête De L'Afrique Par Les Arabes (2Volumes) 1875.

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 6، ص 309.

كما نشر دومينيك لوسياني (Dominique Luciani عدة نصوص بربرية مترجمة [1] إلى الفرنسية، أحيانا مع حروفها العربية مستعينا بالشيخ محمد السعيد بن زكري أحد علماء زواوة الذي ساعده في ذلك منصبه لأكثر من عشرين سنة مديرا للشؤون الأهلية ومستشارا للحكومة العامة بالجزائر .[2]

أما الاقتصادي لورو بوليو(Leroy-Beaulieu)، فقد قدّم في كتابه *الجزائروتونس*، الذي نُشر سنة 1887، تصورًا ثنائيًا للعلاقات الاجتماعية في الجزائر من خلال مقارنته بين القبائل والعرب من جهة، والقبائل والمستوطنين الأوروبيين من جهة أخرى. وقد خلُص إلى أن الاحتمال الأكثر واقعية هو اندماج القبائل مع الأوروبيين، مبررًا ذلك بالتشابه في نمط الأسرة، وتنظيم الملكية، والبنية البلدية، والمرجعية القانونية، إضافة إلى الذوق المشترك والإقبال على مظاهر التمدن. واعتبر أن القبائل لا يختلفون عن المستوطنين في أي جانب يُذكر".[3]

"إلى جانب الأسماء البارزة التي روّجت للأسطورة القبائلية، برز عدد من الكتّاب الذين أدوا أدوارًا ثانوية، غير أن مؤلفاتهم تعكس استمرار هذه الأسطورة واستقرارها بعد أربعة عقود من نشأتها، لاسيما خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1888 و1889. من بينهم بول قافارال(Paul Gaffarel) ، صاحب كتاب *الجزائرالمستعمرة*(*L'Algérie Conquise*)المنشور سنة 1888، والذي قدّم نفسه كمعارض للأحكام المسبقة السائدة بشأن الأهالي، إلا أنه استخدم خطابًا تقليديًا مألوفًا لرسم صورة مثالية عن القبائل بوصفهم "جمهوريين بطبعهم، يرفضون الحكم المركزي، ويمكن تحويلهم إلى فرنسيين عبر مشروع التمدين." ومن جهة أخرى، عادت السيدة بيير كور (Pierre Coeur) في مؤلفها الصادر سنة 1890 تحت عنوان *اندماج المسلمين الأهالي* (*L'Assimilation des Indigènes Musulmans*)لتنتقد الإدارة الفرنسية التي، على حد تعبيرها، تسببت خلال نصف قرن في تعريب وأسلمة البربر الذين قاوموا الإسلام لاثني عشر قرنًا، وبدأوا بربرة جيرانهم العرب. وأشارت إلى أن البربر أُجبروا بفعل الضغط الاستعماري على تعلم العربية وقبول قانون الأحوال الشخصية الإسلامي. وفي سنة 1891، واصل الفيكونت كاي دو سانت إيمور (Caix de Saint-Aymour)الدفاع عن الطرح البربري في مؤلف جديد، مواصلاً بذلك دعم الخطاب الاستعماري المبني على التمييز العرقي والثقافي .

[1]-MERCIER (Ernest), Les Indigènes De L'Algerie Leur Situation Dans Le Passé Et Le Présent, Paris 1884.

[2]نشرت في المجلة الإفريقية (La Revue Africaine) 1897 - 1896 على حلقات، وقد تمكنا من الاطلاع على محتواها.

[3]سعد الله، المرجع نفسه، ج 8، ص35.

Questions Algerienne: Arabes Et Kabylesأن يعلم الجاهلين الفرنسين في فرنسا أن لفظة أهلي تعني العرب والبربر غير أنه يتعذر تحويل العرب بينما يمكن إدماج القبائل .[1]

(Battandier)وترابو (Trabut) كما يشار أيضا الى اسهامات الدكتور باتاندين من خلال مؤلفهما المشترك ***الجزائر*** (الصادر سنة 1898، حيث توصلا تشابهًا واضحًا في البنية الجسمانية بين سكان منطقة القبائل والأوروبيين، وخاصة الفرنسيين. وقد أعرب المؤلفان عن دهشتهما من البنية المؤسساتية لدى القبائل، والتي اعتبراها نموذجًا خالصًا للحكم الديمقراطي المحلي. واستنادًا إلى هذه الملاحظات، خلص الباحثان إلى نتيجة تحمل دلالات استعمارية واضحة، مفادها أن القبائل يحملون مؤهلات واعدة تُبشر بمستقبل واعد للمستعمرة في حال إدماجهم ضمن المشروع الاستعماري الفرنسي.[2]

وإنما استغل الاستعمار بعض الاختلافات بين المجموعتين، ومن هنا فسياسته ليست ممالأة للبربر أو دفاعا عن لغتهم وثقافتهم، ففرنسا لم تقم بترقيتها، وبالتالي فقد أساء فهمها من ينكر وجودها ومن يعتبرها أسطورية، بل كانت هذه السياسية كرها للعرب والمسلمين لا حبا للأمازيغ.

إن فرنسا لم تبدع المسألة الأمازيغية من العدم، وإنما خلقت لها الظروف السياسية لتوظيفها، ولولا وجود العامل الاجتماعي السياسي لهذه القضية لما نجحت في ذلك.

بيد أن هذه السياسة خلقت قطيعة – على الأقل على مستوى الوعي عبر الأسطورة القبائلية "، فلو نزعنا المكون الأسطوري والموروث عن الاستعمار لانهار معظم بنيان الخطاب التاريخي الأمازيغي الحالي، ولتعين عليه التركيز على السياسات المتبعة بعد الاستقلال، وهذا ما يقلل من الجانب المأساوي العاطفي، لأن البربر ليسوا أفقر السكان، ثم إن المنحدرين منهم سيطروا ويسيطرون على مراكز صنع القرار السياسي. وبالتالي ربما تكون مراجعة الموروث الاستعماري من هذه الزواية ضرورية لاستيعاب الأمور: أغلبية الشعب (بغض النظر عن

[1] آجرون، المصدر السابق، ص510.

[2] وردت نفس الأفكار في مؤلفات عدة نذكر منها في هذا السياق الزمني مؤلف:

-LIOREL (Jules), Kabylie De Djurdjura, Paris 1892
-CAIX DE SAINT AMOUR, Questions Algérienne Arabes Et Kabyles, Paris SD.

انظر: آجرون، نفسه، ص 510 .

الأصل أو اللغة) يعيش الفقر والتهميش، وقابع تحت التسلطية، ولا يتعلق الأمر بأغلبية عربية تضطهد أقلية بربرية بل كلتاهما في الهم شريكتين .[1]

إن القول بفردية البربرية العنصرية والقومية والاجتماعية والثقافية واللغوية كانت دوما قوية، بحيث أنها تحول دون تمازج بالعرب، وشيوع فكرة خصومة البربر للعرب والحكم عليها بأنها أبدية وأنه لا سبيل للتوفيق بينهم وتركيز فرنسا على البربر لم يكن بدافع الحب لهم، وإنما لكون ذلك تخطيطا استعماريا جهنميا يوصل في النهاية إلى ابتلاع الجميع، إذ هي تريد أن تؤلبهم وتضرب بهم العرب باعتبارهم العنصر الذي أعاد ربط البربر بالمشرق بعد الفينقيين، وأثر في المنطقة وجعلها عبر القرون تدخل نهائيا في نطاق رقعة أوسع هي الوطن العربي، وأمة أكبر هي الأمة الإسلامية، ومن هنا رأى البعض بأن " مستقبل فرنسا في الجزائر يمثله البربر".[2]

[1] أجرون: المصدر السابق، ، ص511.

[2] عبد النور بن عنتر، فرنسا والمسألة الأمازيغية(مقال مستوحى من الأنترنت سنة 2005 على موقع الجزيرة نت).

الفصل الثالث: مساهمة الإدارة الفرنسية في التأسيس للاديولوجية البربرية بمنطقة القبائل .

المبحث الأول: الأدبيات الفرنسية التي تناولت المسألة البربرية .

1 . مفهوم المسألة البربرية من خلال الأدبيات الفرنسية .

2 . المسألة البربرية كفكرة استعمارية (بداية المسألة البربرية في الجزائر)

المبحث الثاني :تطور المسالة البربرية في الجزائر .

1 . أسباب المسألة البربرية.

2 . أهدافها.

الفصل الثالث :مساهمة الإدارة الفرنسية في التأسيس للإيديولوجية البربرية بمنطقة القبائل .

المبحث الأول:الأدبيات الفرنسية التي تناولت المسألة البربرية

1. مفهوم المسالة البربرية من خلال الأدبيات الفرنسية.

كانت المسألة البربرية تحتل مكانة بارزة في السياسة الاستعمارية الفرنسية اتجاه الجزائر عام 1830 على صعيد المشاريع العسكرية ، كانت الجزائر تمثل هدفا إستراتجيا بالنسبة لفرنسا. حيث اعتبرت إن احتلالها أمرا ضروريا لأمنها في البحر الأبيض المتوسط. وظلت المسألة البربرية إحدى وأرز اهتماماته وكانت حاضرة في سياسته اتجاه الجزائر من خلال مؤلفاته ومفكريه الذين تناولوا هذه المسألة من خلال دراسات اجتماعية وثقافية وعرقية حول الجزائر[1].

وعلى هذا الأساس فان المسالة البربرية تندرج ضمن المخططات الاستعمارية والهدف من اثارة هذه المسالة هو العمل على إيجاد الوجود التاريخي للشعب الجزائري ومقوماته من خلال تقسيم سكان الجائر الى بربر وعرب لإبقاء الوجود الفرنسي في الجزائر[2]

ان الادبيات الفرنسية التي جاءت بعد1830 كانت اكثر وضوحا مما كانت عليه قبل الاحتلال. سوف نرصد مجموعة من المؤلفات التي تخص المسالة البربرية، فسوف نقوم باعطاء نظرة خفيفة حول المؤلفات التي جاءت قبل 1830 فلاحظنا ان الكتاب والمؤلفين كانوا يهتمون بعدة جوانب حتى وان كان البعض منها جاء في سياق تاريخي وهذا لايعني ان المؤلفات ليست مصادر لتاريخ تلك الفترة بل هي مصادر أساسية لابد من

[1] بوعزة بوضرساية: سياسة فرنسا البربرية في الجزائر ، المرجع السابق ، ص20 .

[2] نصر الدين سعيدوني: المسألة البربرية في الجزائر، دراسة الحدود الإثنية للمسألة المغاربية ، عالم الفكر ، العدد 4 ،المجلد 32 ، أفريل – جويلية 2004 ، ص 143.

العودة اليها، أما بالنسبة للمؤلفين الذين تناولوا المسالة البربرية بعد الاحتلال كانو اكثر وضوحا مما كانو عليه قبل الاحتلال.[1]

والبداية كانت بالمبادرة التي قامت بها فرنسا، حيث قامت بإنشاء لجنة برئاسة الجنرال "لوفيردو loverdo "حيث قام بجمع المعلومات الموجودة في محفوضات الوزارة الفرنسية وجهت الى مسؤولي الحملة العسكرية ، بالإضافة الى كتاب "لوجي دو تاسي laugier de tassy" الذي ألفه عن الجزائر بعنوان "تاريخ الجزائر وضرب المدينة " عام 1816.[2]

شهدت المرحلة الأولى من الاحتلال نشاطا لتهيئة الوسائل التي تساعد على إختراق فئات المجتمع الجزائري وكيفية التخلص منها والسيطرة عليها ، وقد كان ل "جواني فرعون jouanny pharaon " دورا مهم في اقناع السلطات الاستعمارية بعملية التنظيم للغة العربية في اهم المدن في إحياء اللهجات البربرية وأول مدينة اهتموا بها هي الجزائر عام 1836[3]

ومن ناحية ثانية قامت السلطات الفرنسية بإعادة نشر المؤلفات التي كانت قبل الاحتلال أمثال : شو و باناتي وشالر وهايدو وغيرهم . والأهم ماقام به دوسلان " William Mac Gukkin De Slane" الذي قام بترجمة لكتاب العبر لإبن خلدون[4]ألف روزات " M".Rozet كتابا عام 1833 بباريس تحت عنوان رحلة الى الجزائر voyage dans largence dalger ou description du

[1] GABRIEL ESQUE R : la vie intellectuelle en Alger Simoum , N° 26, 6eme année S .D pp 15-16 .
نقلا عن: بوعزة بوضرساية : سياسة فرنسا البربرية، المرجع السابق، ص ص59-60.

[2] IBN KHALDOUN . HISTIORE DE BERBERES ET DES DYNASTIES MUSULMANES DE L'AFRIQUE SEPTENTRIONAL TRADITION DESLANE , BERTI, édition , ALGER, 2001.
نقلا عن بوعزة بوضرساية : سياسة فرنسا البربرية في الجزائر ، المرجع السابق ، ص60 .

[4] DAUMAS (m) : et FABAR (m) : La grande Kabylie étude historique , paris , 1847, p.p. 09
نقلا عن: بوعزة بوضرساية :المرجع نفسه، ص 60 .

pays occupe par larmee francaise تناول فيه موضوع البربر وذكرهم باسم القبائل وكذلك روتالي " Rotalien ch De" صاحب كتاب تاريخ الجزائر القرصنة التركية في المتوسط Histior Dalger et de la piraterie des turques dans la mediterannee الذي الفه عام 1841 . هذا الى جانب مؤلفات أخرى جاءت أكثر دقة في تناول المسالة البربرية لمؤلفيه دوماس وفابار Dumas et fabar تحت عنوان القبائل الكبرى دراسات تاريخية La Kabylie :etude historique الذي طبع عام 1847 وكذلك كتاب القبائل La Kabylie الذي طبع عام 1845 . ونحاول نعرض المسالة البربرية ونبدا بدوماس "Dumas وفابار Fabar ألفا كتاب تحت عنوان La grande Kabylie –etu- des historique تم فيه التعريف بالمؤلفين في العنصر السابق [1].

تحدثا فيه في المقدمة عن أسباب احتلال فرنسا للجزائر . وبالتحديد العنصر القبائلي ، وقد كانت بداية المسالة البربرية من خلال هذا الكتاب حيث انه ربطها بالاحتلال الروماني على أساس ان الرومان اطلقوا اسم Monsferratus على جبال جرجرة ، وذهبا كذلك الى ان معضم المدن القبائلية رومانية التأسيس فحاولا هذان المؤلفان في كتابهما ان يلغيان جميع التسميات العربية التي كانوا يطلقونها على منطقة القبائل واستبدالها بتسميات رومانية.[2]

وفي جانب اخر يضيفان الكاتبان ان هناك العديد من بعض الزعامات البربرية حاولوا تأسيس مملكة بربرية مستقلة، فان سكان القبائل كان لهم قوانين خاصة تسير حياتهم فحسب ما ذكروا المؤلفان انهم كانوا

[1]DUMAS et FABAR : op.cit , p.p. 12-13 .
[2]LOUIS DE BOUDICOUR : les indegènes de l'Algerie : les turcs-les arabes – les kabyles , ch douniol, Ibid , p.p.p. 14 – 15 -16.

أصحاب فكر استقلالي ، وعموما فإن الكتاب جاء في سياق السياسة الاستعمارية في الجزائر بحيث ختم الكاتبان كتابهما بسؤال ماهو مصير بلاد القبائل [1]

ومن المستشرقين الذين روجوا لهذه النزعة البربرية المستشرق الفرنسي "ايميل ماسكراي Emile Masqueray" جاء الى الجزائر في 1872 فكانت رحلاته الى المناطق البربرية : الأوراس من 1875 إلى 1878 و مزاب من سنة 1878 إلى 1881 [2]، ويعتبر من الجامعيين الذين اهتموا بالاشكالية الاستعمارية. يعد ايميل ماسكراي من أنصار البربرية وقد عمل على تغذية الأسطورة القبائلية القائلة بان البربري والقبائلي اكثر تشابها للأوروبي وقد استغل هذاالطرح في خدمة الاستراتجية الكولونيالية المتمثلة في تقسيم البلاد ، ولهذا أصبحت كل انضار المسؤولين الفرنسيين وابحاثهم العلمية موجهة لمنطقة القبائل . فبضله تمكن من معرفة التكوين الاجتماعي للبربر والتعرف على الاوراس والقبائل وبني مزاب وعمل كل مافي وسعه ليمتلك الجزائر لفرنسا .[3]

وكذلك نجد لويس ماسينون هو الاخر من انصار النزعة البربرية ، فيروي عثمان الكعاك انه حضر بحثا قام به لويس عنوانه الوحدة البربرية او الجامعة البربرية .[4]

[1] LAMARQUE (L): LA KABYLIE, paris ,1845, p. 86

نقلا عن بوعزة بوضرساية : سياسة فرنسا البربرية في الجزائر ، المرجع السابق ، ص ص 63-64.

[2] Ouhhim ouled brahim ,mission scientifique de masqueray dans dans l'Aurès ses dépendances (1875-1878) revue études et doucuments berbères, n°17 , paris , 1999, p.p. 21-22.

نقلا عن: عبد الحميد برقية : الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879-1962 ، المرجع السابق ، ص 279 .

[3] سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج6 ، المرجع السابق ، ص36 .

[4] الحسان بن إبراهيم القدون : اثر الإستشراق في بروز القوميات العرقية في الامة القومية الامازيغية، بحوث مؤتمر الإستشراق ماله وما عليه، كلية العلوم والاداب بالرس، أيام 24-16\12\2016 ، المملكة العربية السعودية ، ص159 .

من الذين ساروا في التشكيك في أصول البربر " جوزيف ديسبارمي " في أن البربر من بني كنعان أي في وحدة اصولهم مع العرب .[1]

وكما نجد أيضا جان موريزو " jean Morizo" والذي شغلت باله هو الاخر المسالة البربرية لسنوات عديدة والذي اعتبر ان المسألة البربرية تحولت الى شأن قبائلي . وماعاد لفرنسا دور تقوم به بعد ان وضعت أسسها وأستطاعت التأثير في سكان القبائل مبينا إعجابه لسلوك الفرد القبائلي الذي كان متميزا بحبه للاستقلال والرغبة في التفوق .[2] ويصرح أيضا ان لفظ " القبائل " من تاليف فرنسا بمعنى ان فرنسا هي التي أطلقت هذا اللفظ على هؤلاء السكان لان تاريخيا وقبل الاحتلال كان يطلق عليها منطقة زواوة .

اما بالنسبة لكاتب فرنسي آخر الفه الملازم (د) لامارك تحت عنوان "بلاد القبائل " La Kabylie" هذا العنوان عبارة عن مذكرات كتبها عن البربر عام 1845 ويعتبر من الكتاب الفرنسيين الذين استعملوا كلمة القبائل اول مرة معرفين بذلك فئات المجتمع الجزائري .

تناول في كتاب الحدود الجغرافية لبلاد القبائل وكذلك تحدث عن عاداتهم و تقاليدهم التي أرجعها الى فترات قديمة الى الرومان، وكذلك تحدث عن الحياة الاجتماعية التي كانوا يعيشونها . وفي الجانب الاجتماعي أكد على أن البربر عنصر بشري بدائي أي أنه متمسك بنمط حياته في الجبال وشبههم بسكان شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا) [3]. وكذلك ما ذكره عن الشعوب التي حلت أرض الجزائر معتبرين البرابرة سكانها الأصليين مركزا عن الوندال والرومان لكن عندما وصل الى المسلمين وصفهم بكطارثة العرب المحتلين .[4]

---

[1]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6 ، المرجع السابق، ص 324 .

[2]نصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب–الهوية–اللغة (دراسة تاريخية نقدية) ، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية ، الطبعة الأولى ، الجزائر ، 2021، ص 82.

[3]La Marque(L)La Kabylie , paris, 1845, p. 317 .

نقلا عن بوعزة بوضرساية: المرجع السابق، ص 64.

[4]Ibid , p 323

وفي سياق حديثه عن البربر قال انهم المكان الاصليون في شمال إفريقيا تركوا السهول و إلتحقوا بالجبال للدفاع عن أنفسهم , لكن الرومان إستطاعوا أن يتآلفو معهم مما ساعدهم على بناء القصور والحصون ,اما العرب قد غرقوا عندما حاولوا إحتلال المنطقة.[1]

والغريب والمدهش هو أن تطابق المعلومات الخاصة بالمناطق الرومانية بين "لامارك"وبين"دوماس"وبين "فابار", ومن الأرجح ان يكون الكاتبان هما اللذان اخذا عن لامارك لان كتابهما ضهرفي 1847 وكتاب لامارك في 1845 . ومنه بحيث كلا المؤلفان الفا الأسماء العربية معتبرين نشأة المدن في المنطقة البربرية تعود الى الرومان[2].

أما نموذج آخر من هذه الادبيات الفرنسية نجد الكاتب "لويس بوديكور" " louis Boudicour " عام 1852 تحت عنوان أهالي الجزائر " Les indijenes de lalgerie" عبارة عن مذكرات تتحدث عن الجانب الاجتماعي للمجتمع الجزائري حيث جزأه الى ثلاث فئات هي الأتراك والعرب والبربر (القبائل) ، اعترف الكاتب بالخطا الذي ارتكبه العديد من المؤلفين الفرنسيين عند تناولهم لتاريخ العرب والبربر فيما يخص تسمية القبائل ويمكن التفريق بين الجنسين ، فالعرب على العموم لهم شعر اسود وعيون سوداء . في حين أن البربر أو القبائل أغلب الأحيان نجد لهم عيون زرقاء وبشرة بيضاء عكس العرب .[3]

لقد وصل المقارن بين العربي والبربري حدا لايطاق في مذكرات "بوديكور" حيث رفع فيها من قيمة البربري وهمش العربي ومما قاله في هذا الشأن :" إن العربي مغرور ومتكبر وحقير وماكر ، أما البربري (القبائلي) فهو فخور بنفسه وبسيط ويكره الكذب وله شعور عميق نابغ من كرامته .

[1] Ibid , p326-327

[2] Louis Boudiour : Les indigenes de l'Algeria , ch , Dounoit, paris , 1852 , p 17-18.

نقلا عن: بوعزة بوضرساية: المرجع نفسه، ص 65.

[3] Ibid , p.p. 20-21

"<< Larabe est vantieux ; arrogant,servile et faux ,le kabyle est fier , simple ,desteste le monsonge et un sentiment profond de dignite …. >> [1]

ويستمر الكاتب في إحتقار العنصر العربي ويميز العنصر البربري على انه متفوق ولا يقوم بالحرب عكس العربي الذي يميل الى الحرب والعنف وقام بمقارنة بين المرأة العربية والمرأة البربرية بحيث ان البربريات لهنا الحرية وتستطيع الخروج لوحدها وتتناول اطراف الحدديث مع الأخرين على عكس العربيات ملتزمات ولا يستطعن مقابلة الغرباء . فالبربر يشبهون الاوروربيين .[2]

يقول السيد "بوديكور" اللهجة البربرية أنها لغة ويؤكد على أنها اللغة القديمة للبربر ، لذلك يؤكد على أن البرابرة الذين لا يعرفون العربية إستطاعوا أن يحافظوا على هويتهم الأصلية وحتى الرومان عندما دخلوا بلاد البربر حسب رأيه لم يحاربوا هذه اللغة ولم يفرضوا لغتهم على السكان الأهالي في إفريقيا لذلك جاءت مؤسسات البربر التي استمدوها من الرومان مغايرة تماما لمؤسسات العرب التي كانت قائمة على النظام الإقطاعي ومؤسسات البربر القائمة على العدالة ، فهنا نطرح السؤال ماذا كان يقصد بهذه المقارنة . وإذا كان موقفه صحيحا وغير متحيزا لماذا اعتنق سكان القبائل الإسلام وكانو هم السباقين في فتح الاندلس على يد طارق بن زياد وهل هذا هو ميزان العدل والعدالة وفي ختام كتابه أبعد الشريعة الإسلامية في تسيير الحياة الاجتماعية للقبائل ووضعها في العادات والتقاليد [3].

لقد عملت الكتابات الفرنسية على المبالغة في إضهار الانقسام بين العرب والبربر وعلى رغم الأسس التاريخية الثابتة لهذا التكوين ، فإن المبالغة حصلت في إظهار الثنائية بمظهر التعارض لأنها كانت تنطلق من

[1]Boudicour , opcit , p. 21
[2] Ibid , p. 23
[3] Boudicour, op.cit , p.28.

نزعة تفريقية بهدف الإثارة أكثر مما تهدف إلى الكشف عن حقيقة الواقع . وقد أشارت " جان فافري" الى ان ما حدث من تعرض بثنائية القبائلي والعربي، لم يكن سوى جزء من متطلبات الايديولوجيا الاستعمارية[1].

وفي الأخير نستنتج من هذه الدراسات والأقوال والتصريحات التي أوردناها في مطلبنا هذا ، فهي ليست جميع الدراسات ولكن أعتمدنا على بعضها في التأكيد على حقيقة هامة أن السلطات الإستعمارية وأدبائها ومستشرقوها درسو وتناولو موضوع القبائل الجزائرية وبالأخص البربرية ليس بهدف دراسة علمية لها ولكن لخدمة مصالحهم وأهدافهم الإستعمارية وركزوا فيها عن العنصر البربري ليس حبا فيه ولكن هذا العنصر بقي صامدا في وجوه الإستعمار المتعاقب على المنطقة ، ومحاولتهم جاهدين إلحاقه بالعناصر الخارجية وذلك بغية في تفكيكه ، وكذلك هدفهم من هذه الدراسات هو إثارة الفتن بين العرب والأمازيغ ومحاولة إضعاف المجتمع وإيجاد كيانات ثقافية وعرقية [2].

وعليه فإن المسألة البربرية كانت جوهرية في هذه الأدبيات رغم عدم بروزها بشكل يلفات الإنتباه , لكونها كذلك ربطها هؤلاء المؤلفين والكتاب بالجانب الديني ، حيث وصلت موجة المسيحيين خلال القرون السادس والسابع والثامن وحتى التاسع عشر ذروتها لدى الشعوب الأوروبية وأصبح كل مايكتب أو يؤلف لا يخرج عن هذا النطاق. وكانت ريعة هؤلاء بالنسبة للمجتمع الجزائري هي المسيحية التي عمد الرومان والوندال والبزنطيين على نشرها بين سكان البلاد البربرية وهو مادفع العديد منهم إلى الإشارة بما قدمه " القس سانت اوغستين " في نشر الحضارة المسيحية [3].

[1] محمد نجيب بوطالب : سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، 2002، ص ص 111-112.

[2] عبد الحميد برقية: الإستشراق الفرنسي، المرجع السابق ، ص 302.

[3] بوعزة بوضرساية: سياسة فرنسا البربرية في الجزائر، المرجع سابق، ص 69.

2. المسألة البربرية كفكرة استعمارية (بداية المسألة البربرية في الجزائر):

ليست السياسة البربرية سياسة جديدة كما يظنها الكثير من المسلمين بل هي سياسة قديمة أصبحت من تقاليد الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا في تاريخ الإستعمار الفرنسي منذ إعتداء فرنسا على الجزائر سنة 1830[1]، بل ترجع جذور المسألة من الناحية الزمنية إلى فترة الإحتلال الفرنسي، ومن الناحية الفعلية إلى توظيف المحتل لمشكلة التميزبين الأمازيغ و العرب (المسألة البربرية) التي خلقها هو في مشروع تحطيم الكيان الجزائري، حيث بدأت هذه المسألة مع بعض العسكريين مثل الجنرال "دوفيفي"[2]في عام 1841 والعقيد "دوماس"[3] في عام 1844 إضافة إلى الملاحظات الأنتروبولوجية التي قدمها النقيب "فابار"عام 1847 .والتي تضمنت وصفا للعنصر القبائلي. مدعيا أنه يعود جزئيا إلى أصل جرماني، حيث كان هؤلاء الضباط جزءا من المكاتب العربية، وشكلوا نخبة من الباحثين في الجانب العلمي، حيث تم توجيههم للإهتمام بكل القضايا التاريخية والجغرافية والإثنولوجية، واستخدموا مختلف العلوم الإنسانية والإجتماعية، بما في ذلك التاريخ الذي وظفوه بشكل وظيفي وإيديولوجي، وذلك لتعميق الصراع بين البربر و العرب وبين القبائل، عبر زرع الفتنة العرقية ،كما قاموا بإختيار الروايات التاريخية وتحليل الوقائع بما يتناسب مع أهوائهم، بهدف إثارة العنصرية بين العرب و البربر، فإختاروا أحداثا مثل حادثة الكاهنة و حسان و كسيلة و عقبة بن نافع ليصبح هذا الإختيار قاعدة أساسية في الكتابات التاريخية الفرنسية [4]، وهذا لتثبيت الاحتلال الفرنسي تحت ما عرف بالأسطورة البربرية لمناهضة مشروع نابليون الثالث، المملكة العربية وكان من أشهر أنصارها "وارنيه" الذي عمل على التفرقة بين العرب والقبائل بالإعتماد على فكرة أن البربر ينحدرون من الرومان المسيحيين القدماء، وقد رأى أن مستقبل الجزائر لا يكمن في التعايش بين العرب و القبائل، أو بين الإسلام و المسيحية بل في التحالف

[1] محمد المكي الناصري: فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، ط2، شركة بابل، الرباط د.س،ص 15.

[2] دوفيفي فرانسياد فلوريس: هو جنرال فرنسي كان بالجزائر من سنة 1830 إلى 1841، شارك في معارك بليدة 1837 والمدية، وشارك في إخماد ثورة 1840،وتوفي جراء إصابته في هذه الثورة عام 1848م.

[3] من الضباط الإداريين في الجيش الفرنسي أو ما يسمى بضباط المكاتب العربية،وكان رئيسا لها منذ تأسيسها عام 1841م.

[4] الأزمة البربرية لسنة 1949-في تقرير سري للبوليس الفرنسي، المرجع السابق، ص 154 .

الفرنسي القبائلي، استمرت الأسطورة البربرية في الظهور خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وتزامنت مع نزعة بربرية محلية في عدة مناطق من بلاد 'الزواوة'، تأثرت بظهور الأفكار القومية في أوروبا وفي مناطق مختلفة من العالم ، ومع ذلك عكست الأسطورة البربرية في هذه الفترة نفس الأفكار الجاهزة مثل :{أن العرب كسالى، خاطئون، باطئون، متحجرون، متعصبون}.أما البربري فإنه عاملا جدى، يملك روح المبادلة والحس العملي، وهو حيوي، مرح و اقتصادي، محب للإطلاع، قليل التدين.[1]

وهذه العبارات القاسية في حق العرب تتوافق مع الكتابات الاستعمارية في النصف الثاني في القرن التاسع عشر، حيث اعتبرت الجزائر الموعودة للدراسات الإثنوغرافية و الأنثروبولوجية، وتضمنت تلك الدراسات حول وصف و تحليل العرب، كما يمثل نقيضا لما كتب على البربر، فأعطت أفضلية للعرق البربري وأنه لا يجب أن يعامل كالعربي.

وفرنسا عندما وضعت يدها على شمال إفريقيا فكرت في أن تضم إليها هذه الأمة المسلمة الممتدة في تونس و الجزائر و مراكش، ضمنا نهائيا و أجمع سياستها و مستدمروها على أن هذه البلاد لايمكن الإطمئنان عليها إلا بعد إبادة الإسلام منها، فالسياسة البربرية في نظر الاستعمار الفرنسي هي غير علاج و أحسن سلاح لبسط نفوذها في شمال إفريقيا[2] و أصبحت تدعى أن البربر ماعرفوا الإسلام ولا آمنوا به في يوم من الأيام .

فالنزعة البربرية هي التيار الذي أوجده الفرنسيون بالجزائر من أجل تفكيك الوحدة الوطنية فيها. فقد عمل الفرنسيون قبل إستغلال بلدان المغرب العربي على عزل أقلية الجماعات الناطقة بالبربرية عن غالبية السكان العرب ,ونشر التعليم الفرنسي و المبشرين ؟ظ؟بمناطقهم وبث فيهم فكرة أنهم هم أصحاب البلاد

[1] المرجع نفسه، ص 155.

[2] محمد المكي الناصرى: فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، المرجع السابق، ص 16.

الأصليون وأن العرب مستعمرون واللغة العربية دخيلة .وأن أصلهم أوروبي، ولأجل تطبيق خطتهم عمد الفرنسيون على نشر التعليم في المناطق البربرية، خاصة في منطقة القبائل التي قاومت جيوشها بشراسة من 1830 حتى 1857.فإحصائيات 1892 تبين أن المدارس الفرنسية المخصصة للجزائريين انتشرت بالمناطق الناطقة بالبربرية، بنسبة 50 بالمئة من كل انتشارها بسائر القطر الجزائري، وأن نسبة 34 بالمئة تركزت في ولايتي" تيزي وزو و بجاية " [1]، معتمدين على وهم أن البربر ضعيفي التأثر بالإسلام أيمسلمين سطحيا وفقط.وأن البربر مستعدون للإندماج بالمجتمع الفرنسي سياسيا و ثقافيا، وهذا ما صرح به "بول ماريني"قائلا :"إن سكان امبراطوريتنا الإفريقيين على أنواع مختلفة فمنهم البربر وهم أقرب الناس إلينا ...".

ابتدأت فرنسا بتطبيق هذه السياسة منذ سنة 1859 فأصدرت قانونا في الجزائر يحرج القبائل البربرية عن أحكام الشريعة الإسلامية [2]، وزعمت أن مسلمي البربر الجزائريين هم الذين طلبوا الإحتفاظ بأعراضهم الجاهلية. ولكن لم تأت سنة 1871 حتى قامت هذه القبائل بثورة شهيرة تحت قيادة سيدي المقراني وحاصرت حصون الفرنسيين ومعسكراتهم.والمهم عند الفرنسيين هو إيجاد عداوة محلية يوظفونها داخل صفوف أعدائهم.وجاء أن القبائل هم أقرب من العرب في التحالف مع الفرنسيين، وبذلك يمكن للفرنسيين أن يكسروا الحلقة التي تطوق عنقهم، حيث وصف "ديفري"أن هناك عداوة زمنية متبادلة بين السكان لم تعرف فرنسا كيف تستفيد منها سياسيا.ولاشك أنه ظن أنه كان يقدم بذلك نصيحة غالية لبلاده.[3]

وتفطن المستعمرون إلى توعية البربر بأن العرب قد جاءوا وفرضوا عليهم دينهم ولغتهم، وبذلك قضوا على هويتهم المتميزة، وفي سبيل بلوغ أهدافهم المبنية على سياسة {فرق تسد}، أخذوا يشوهون كل ما يتعلق

[1] عثمان سعدي: الأمازيغ "البربر"عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 2018، ص 33.

[2] محمد المكي الناصري: المرجع نفسه، ص 18.

[3] سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي ،ج،6، ص 316 .

بالثقافة العربية وكل ما هو عربي[1].ففي سنة 1857م وبعد احتلال الفرنسيون لمنطقة القبائل قدروا أن المنطقة كانت صالحة لاستقبال الحضارة الأوروبية، حيث كان التمدرس متقدما فيها مقارنة مع باقي مناطق البلاد ،كان هذا قصد تكوين نخبة مفرنسة [2].واستعملت فرنسا في نشر التفرقة داخل البلاد وتعزيز الفرنسة والتنصير على العديد من البرامج الخبيثة، وهو زرع العنصرية بين المسلمين في الجزائر، تحت شعار الثقافة البربرية المعتمدة على اللغة الأمازيغية و الديانة النصرانية [3]، فقد بدأت فور حط رحالها في البلاد بإنجاز دراسات حول اللهجات المستعملة و المتداولة في الجزائر، وكان الهدف منها إداريا على مايبدو، وقد قام بها مجموعة من المستشرقين و الضباط الإداريين الذين كانوا و لا يزالون في خدمة المخططات الاستعمارية.

ففي سنة 1856م أصدر وزير الحرب الفرنسي أمرا إلى "جيسلان" بإعداد تقرير مفصل على اللهجات المحلية المستعملة في الجزائر وقد تمت قراءة التقرير ومناقشته عن طريق لجنة من المتشرقين بأكاديمية الفنون و الأداب في باريس تحت إشراف المستشرق "رينو"، وفي 1886 كان الفرنسيون قد ألفوا دراسات في أغلب اللهجات المستعملة في الجزائر، فألف الجنرال "هانوتو"قاموسا سماه نحو اللغة التمشقية (لهجة الطوارق)، وألف هو و "دوماس"في لهجة القبائل زواوة، وألف "إيميل ماسكري"في اللهجة الشاوية، وألف "موتيلاشكي" في الميزابية وغيرهم ...

-وكما ذكرنا سابقا أن مشروع أو الفكرة المؤسسة للمسألة البربرية في الجزائر، كانت ضمن مشروع فرنسا في الجزائر القائم على إلغاء الوجود التاريخي للشعب الجزائري من حيث أسسه ومقوماته الحضارية[4]، وتحددت معالم هذا المشروع الإستعماري في فكرة تقسيم سكان الجزائر وتصنيفهم إلى عرب وبربر، وهذا

[1] عمر عسوس: أزمة الهوية لدى البربر في الجزائر، ص 54.

[2] أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية الخلفيات،الأهداف،الوسائل والبدائل،شركة دار الأمة للطباعة و والترجمة والنشر و التوزيع ،برج الكيفان، الجزائر، ط2، 1997، ص19.

[3] محمد حاج عيسى الجزائري: الجذور التاريخية للأزمة البربرية في الجزائر ، دار الإمام مالك، الجزائر، 2021، ص 2.

[4] نصر الدين سعيدوني: المسألة البربرية في الجزائر ، مجلة عالم الفكر، العدد4، مجلد 52،200، ص 145.

لضمان بقاء فرنسا في الجزائر.فقد وجدوا مخططوا السياسة الإستعمارية في الجزائر في المناطق التي مازال سكانها يستعملون لهجاتهم البربرية مثل :الأوراس والميزاب والهقار والقبائل .وهو ما يرونه شروطا أولية ووضعية ملائمة لتحقيق ما يطمحون إليه، وقد تركز اهتمامهم في ذلك على منطقة القبائل لأنها حسب مفهومهم أكثرها تقبلا وتأثيرا على باقي أقاليم الجزائر .

فبعد إخضاع بلاد القبائل وإخماد مقاومة رجال الزوايا بها (1844-1857م)واهتم الضباط الفرنسيين العاملين بالمنطقة والباحثين الفرنسيين المختصين على رصد كل ما يمز 'القبائل' عن غيرهم من الجزائريين وبتشجيع من الحكام العامين للجزائر مثل "المارشال بيجو"و الجنرال "راندون" و "ماكماهون" الذين كانوا يصدرون تعليمات خاصة بفصل القبائل عن غيرهم من الجزائريين في المعاملات و القوانين، وهذا ما جعلهم يؤمنون بضرورة أن يكون لفرنسا {سياسة بربرية }في الجزائر.وكذلك الإرساليات التبشيرية المسيحية الفرنسية فقد لعبت دورا كبيرا في التبشير للإستعمار الفرنسي، حيث أن المشرف على التعليم في الجزائر يخطب في المعلمين الفرنسيين في بلاد القبائل فيقول لهم :{علموا كل شيء للبربر ما عدا العربية والإسلام}[1].وهذا ما يدل على تركيز فرنسا على بلاد القبائل فوجه إليها إرساليات تبشيرية، وعمل على نشر التعليم بها أكثر من أي منطقة أخرى وتأسيس نخبة مفرنسة تؤمن بالزعم بالأصول الرومانية والآرية للقبائل، وتعتبرهم أقرب إلى الفرنسيين وأكثر إستعداد للإندماج بالأمة الفرنسية [2].

إذن فالمسألة البربرية ظاهرة أنشأها الإستعمار الفرنسي ليتخذها طريقا لتحقيق شعاره "فرق تسد" من خلال إشعال نار التفرقة بين القبائل البربر والعرب .

[1]CR. Ageron. politique colonial au Maghreb, paris, 1972 , p.p. 109-148.

أنظر: عثمان سعدي: الأمازيغ 'البربر' عرب عاربة، المرجع السابق، ص 34 .

[2]عثمان سعدي: المرجع السابق، ص 36.

المبحث الثاني : تطور المسالة البربرية في الجزائر .

1 .أسباب المسألة البربرية

تعد هذه الأسباب من الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه السياسة مع دخول فرنسا للجزائر، وهذا نظرا لتركيبة المجتمع الجزائري في حد ذاتها والسياسات التي إستعملها المستعمر لتقسيم هذا المجتمع وزرع داخل أوساطه (العرب ، البربر) وتركيبة المجتمع البربري في الجزائر بدورها هي الأخرى تنقسم إلى أربعة اقسام وهي :

-القبائل: وهي أكبر كتلة في الجزائر وهم متمركزين في جرجرة وضواحيها : بجاية وتيزي وزو من بلاد القبائل وأهمها قبيلة (زواوة) حيث تقع شرق الجزائر العاصمة وقريبة من البحر [1]، وهذه القبيلة إستطاعت فرنسا أن تسيطر عليها والتأثير فيها خاصة ثقافيا .

-الشاوية: المتمركزة في منطقة الأوراس، و يتكلمون اللهجة الشاوية وهم أكثر تمسك بالثقافة والوحدة الوطنية .

-المزابيين: ويتمركزون في بلاد الشبكة الواقعة شمال صحراء الجزائر وتضم سبع مدن وأهمها مدينة (غرداية).

-التوارق: ويتمركزون في أقصى الجنوب الجزائري وأهم المناطق الموجودة فيها هي الهوقار ويتكلمون الطوارقية.

أما العرب فيشكلون الأغلبية من المجتمع الجزائري ولغتهم هي العربية، واستعمل المستعمر الفرنسي الكثير من السياسات اتجاه العرب والبربر في سبيل التفرقة بينهم وأن يشككوا في الوحدة العربية للامة الجزائرية التي كونتها القرون وشيدتها الأجيال .[1]

[1] أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.س ، ص 33 .

-استعملت فرنسا سياسة " فرق تسّد " وطبقتها في الجزائر وعملت على التفرقة بين العرب والبربر التي اعتبرتهم هم السكان الأصليين والعرب هم الدخلاء .[2]

أيضا عملت فرنسا على التفرقة داخل أوساط البربر في حد ذاتهم وذلك بخلق عشائر كالقبائل والشاوية وبني ميزاب والطوارق لضرب الكل في بعضه البعض[3].

ومن أعمالهم أنهم قاموا بنشر الدعاية حول أصل قبائل الزواوة وأنهم من جنس روماني وأنهم ينحدرون وينتمون إلى العنصر الأوروبي ونفوا أصلهم الحقيقي .

-التنصير: كانت أيضا من سياسات فرنسا العنصرية، ففرنسا عندما دخلت الجزائر إستولت على غالبية المؤسسات الثقافية والدينية من مساجد وزوايا ومعاهد إسلامية وحولت معظمهم إلى مراكز للديانة المسيحية.

وكان الكاردينال " لافيجري " هو من قام بعملية التنصير وقد شملت كامل التراب الجزائري وأهم منطقة ركز عليها " منطقة القبائل " وقد دفعته عدة أسباب منها :

الكثافة السكانية المتمركزة هناك، وباعتبارها منطقة (جرجرة) منطقة معزولة عن المدن الجزائرية . إضافة إلى الواقع الذي كان يعيشه سكانها من فقر وجوع، فاستغلت فرنسا هذا الضعف وجلبت اليه المبشرين تحت اسم " الأعمال الخيرية " والهدف من هذا تكوين وإنشاء مجتمع مسيحي لصالح الفرنسيين .[4]

[1] محمد الميلي: إبن باديس وعروبة الجزائر، د ن، الجزائر، 2007، ص51 .
[2] خديجة بقداش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)، دار حلب، الجزائر، 2009، ص 137.
[3] بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، دار المعرفة ، الجزائر، 2006 ،ج1، ص405 .
[4] خديجة بقداش: المرجع السابق، ص 139 .

استعملت فرنسا في سبيل القضاء على الهوية ونزع الفتنة والتفرقة الفرنسية المنتهجة في حق الجزائريين، وذلك من خلال نشر اللغة الفرنسية وثقافة المجتمع الأوروبي، والطعن في التراث عن طريق المقارنة مع حاضر التطور الغربي.[1]

وبالتالي القضاء على مقومات الشعب الجزائري .

إذن فالمسألة البربرية ظاهرة أنشأها الإستعمار الفرنسي ليتخذها طريقا لتحقيق شعاره " فرق تسّد " من خلال إشعال نيران التفرقة وتعميق التناحربين مجموعتين من الجزائريين الأولى عربية والثانية قبائلية . [2]

2.أهداف المسالة البربرية :

لقد تعددت أهداف هذه المسألة البربرية في الجزائر لكن سوف نتطرق الى اهم الأهداف التي سطرتها فرنسا من أجل زرع الفتن بين القبائل والعرب .

-فصل القبائل عن باقي الجزائريين باعتبارهم مع غيرهم من المجموعات البربرية إثنية متميزة لاتربط العرب بأي صلة . بل هي معادية للعرب وهذا ما قاله " شارفيتيا " بقوله :" يوجد في الجزائر عنصران متميزان من حيث اللغة والعادات وحتى الدين وهما العنصر القبائلي والعنصر العربي، ويجب علينا أن نُبقي هذا التمايز والإنقسام [3].

[1] محمد الميلي: المرجع السابق، ص 51 .

[2] The Berber Crisis of 1949 in a Secret Report of the Franch Police

بومزو عزدين : الأزمة البربرية لسنة 1949 في تقرير سري للبوليس الفرنسي، جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري، مجلة الدراسات، المجلد 13، العدد 02، 2022، ص 155 .

[3] E. Charveniat : A travers La Kabylie et les question kabyles , Paris , 1889 ,p.20

نقلا عن: نصر الدين سعيدوني، المسالة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص 147.

فبادرت السلطات الفرنسية في الجزائر الى إصدار قوانين تهدف إلى فصل القبائل عن بقية الجزائريين في المعاملات الإدارية والتمثيل المحلي ،حيث خصصت لهم تمثيلا خاصا في المجالس المالية مع تخصيص ستة ممثلين من أصل واحد وعشرون ممثلا لجميع الجزائريين، وقد أسندت الإدارة الفرنسية ودارسو البربريات في هذا التقسيم الى أن هدفهم كان الهوية الإثنية للسكان الأصليين لشمال إفريقيا وهم البربر الذين كامو في نضرهم فئة مهددة ومحدودة العدد [1].

وقد صاحب هذا التوجه محاولة تحديد المواصفات الإثنية للعرب والقبائل، فوصفوا العرب بأنهم بدو يمتهنون الفروسية ومتدينون وملتزمون بأصول الدين وذوي شعور وعيون سوداء وبشرة سمراء، أما القبائل فهم الفلاحون قليلو الدين ذو شعور شقراء وعيون زرقاء وهذه الاحكام كلها منافية ومخالفة للحقائق التاريخية. لأن سكان الجزائر يعتبرون عنصر بشري واحد ونتج عن امتزاج العرب بالبربر وإنصهار الأقوام الأخرى واختلطوا بحيث أصبح من المستحيل تفريق بينهم.[2]

إبعاد القبائل عن الأحكام الإسلامية من حيث الأحوال الشخصية والمعاملات والقوانين واستبدالهما بالعادات والتقاليد بالقوانين الفرنسية كونها كفيلة لتأكيد خصوصياتهم العرقية ووضعهم الاجتماعي المتميز ولأنها أكثر ملائمة لنفسية القبائل التي زعموا أنها لم تتأثر كثيرا بالوازع الديني، وفي هذا المسعى بادر الحكام الفرنسيون بالجزائر بعد اخضاعهم بلاد القبائل إلى إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية التي كانت متبعة في أوساط قبائل جرجرة. فأصدر حاكم الجزائر "راندون " تعليمة للظباط العسكريين القائمين على المكاتب العربية ببلاد القبائل يطلب فيها منهم التخلي عن القوانين التي لها إتصال بالشرع الإسلامي وبالفعل فقد ركز اهتمام

[1] أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، منشورات دحلب، 1991، ص 140.

[2] General Eu . Daummas, La societé bérbére in revue de l'Algerie et des colonies ,T . VII ,1858, p. 343.

نقلا عن: نصر الدين سعيدوني: المسالة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص 148.

الظباط الفرنسيين العاملين بمنطقة القبائل على توفير المادة القانونية والكتابات التي جمعوها حول عادات وتقاليد القبائل مما وفر مادة قانونية تعرف بالقانون القبلي، والهدف من هذا التوجه المعادي للهوية الإسلامية. مما جعل منطقة القبائل ميدان تجربة، وعلى هذا قد ضلت السياسة الفرنسية أساسا لعمل المشرعين الفرنسيين الذين اشترطوا على الجزائريين الحصول على المواطنة الفرنسية والتخلي عن أحكام الشريعة الإسلامية.[1]

– العمل على إضعاف الشعور الإسلامي لدى القبائل ونشر المسيحية بينهم وفي مقدمتهم رجال الكنيسة في سعيهم لتحديد العقيدة الإسلامية والتمهيد لنشر المسيحية وقد اعتبروا أن إسلام البربر إسلام سطحي وعقيدتهم الأصلية هي المسيحية .[2]

فاعتبرت فرنسا ان الإسلام عدوها الأول في الجزائر مما قامت بمحاربة تعليم اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ووسيلة فهم العقيدة الإسلامية، وعلى هذا قامت بإنشاء كنائس في بلاد القبائل .[3]

ولم ينته القرن التاسع عشر حتى انشأت ثلاثون كنيسة موزعة على قرى بلاد القبائل : بني إسماعيل، جمعة الصهاريج، بني منقلات، ايغيل علي، تيزي وزو، واد عيسى، آقبو. وهذا ما سمح فيما بعد بتخريج عدد أكبر من ذوي الثقافة الفرنسية المتفهمين لمتطلبات الحضارة الغربية والبعيدين عن كل انتماء عربي أو إحساس إسلامي.[4]

---

[1] Ch . R.Ageron : Les Algeriens Musulmans, T1, op cit, p.41

نقلا عن نصر الدين سعيدوني: المسالة البربرية، مرجع سابق، ص 149-150 .

[2] Général André , Contribution à l'étude des confréries religieuses musulmans, Alger ,Maison des Livres , 1956, p.356 .

نقلا عن: نصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ، ص 151.

[3]Ch .A.Julien: Histiore de L'Algérie contemporaine (1827 – 1871) , Paris , P.U.F , 1964 , p44 .

نقلا عن: نصر الدين سعيدوني: نفسه، ص 151.

[4]Philippe Antoy: Mission des Pères blances(Tunisie , Algérie , Sahara et Kabylie), Paris ,éd, Dillin,1930, p.p. 144.

نقلا عن: سعيدوني: نفسه، ص 152.

-دمج القبائل مع الحضارة الغربية وتمثيلهم في المجتمع الفرنسي وخدمة مصالحهم في شمال إفريقيا. فالشعب القبائلي حسب أقوالهم سليل سكان فرنسا الصليبين وهذا ما جعله متقبلا بطبعه للحضارة الفرنسية.

- العمل على تطوير اللسان البربري وخاصة اللهجة القبائلية لتكون لغة منافسة للغة العربية متفاعلة مع الثقافات الفرنسية بحيث توجه اهتمام الدراسات البربرية في الجزائر الى وضع قواعد مناسبة للهجات البربرية في محاولة تكوين قواميس لمفرداتها فقاموا بنشر مخطط " فانتور دو بارادي " حول قواعد ومفردات اللغة البربرية سنة 1848.[1]

يبدو أن الهدف من هذه السياسة كان محاولة استدراج الزعامات المحلية في منطقة القبائل لإقناعهم بتسليم المنطقة بدون مقاومة أو قتال، وهو ما يعكس تكتيكًا استخدمته القوى الاستعمارية في تلك الفترة. الفرنسيون كانوا يعلمون أن غزو منطقة القبائل سيكون معركة صعبة نظرًا للمقاومة القوية التي أبدتها القبائل هناك. ومن خلال الترويج لفكرة "العربي الشرير" و"القبائلي الطيب"، كانت القوات الفرنسية تسعى لتقسيم السكان وخلق شرخ بين مختلف الجماعات لتحقيق أهدافها. هذه الحيلة كانت تهدف إلى تجنب المقاومة وتحقيق السيطرة بسهولة أكبر[2].

[1]Vontour de Paradis , Grammaire et Dictionnaire abrégés de la langue bérbére , Paris , imp , Royale, 1844.

نقلا عن: نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص154.

[2]ليكا وفاتن : جزائر الانثروبولوجيين، ترجمة محمد يحياتن وآخرون، الجزائر،منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال، 2002، ص 112.

الفصل الرابع: انعكاسات المسألة البربرية على المجتمع القبائلي والجزائري .

المبحث الأول :احتلال فرنسا لمنطقة الزواوة ومقاومتها .

1 .توظيف الأدبيات الفرنسية في منطقة الزواوة.

2 .رد فعل سكان الزواوة على الاستعمار الفرنسي .

المبحث الثاني:آثار المسألة البربرية على منطقة الزواوة وعلى الجزائر .

1 .على الزواوة .

2 .على الجزائر .

الفصل الرابع : انعكاسات المسألة البربرية على المجتمع القبائلي والجزائري .

المبحث الأول : الأدبيات الفرنسية التي تناولت المسألة البربرية .

1. توظيف الأدبيات والدراسات الفرنسية بمنطقة القبائل .

قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية بتوجيه منطقة الزواوة بمجموعة من الدراسات والأبحاث لتكون ضمن مخططاتها الاستعمارية المعادية للعروبة والإسلام. فساهم العديد من الضباط العسكريين والسياسيين ،والباحثين الجامعيين والعديد من الدراسات التي جعلتها الإدارة الفرنسية مرجعا لها لإحياء التراث الأمازيغي الثقافي فنذكر بعض الفرنسيين الذين اشتهروا بمثل هذه الدراسات حسب الترتيب

الأبجدي [1].

1- البارون أوكابتيان " Le Baron H Aucapitaine "

2- بيربروجي " Ber Brugger "

3- بورو " Boureaux "

4- بريمون " Bremond "

5- بيجو " Bugeaud "

6- كاريت " B . Carrete "

[1] نصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وأفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، عالم المعرفة ، الجزائر، 2009 ، ص 85.

أنظر للمزيد: أبو القاسم سعد الله: بداية السياسة القبائلية (البربرية) مع بحوث العقيد كاريت في الاربعينيات من القرن 19 لتتوسع مع الدكتور وارني في السيتينات ثم واصلها وكشف عنها السياسي إيميل صابايتي خلال الثمانينات والتسعينات، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص 80 .

7- فيرو " Féraud "

8- غان " Guin "

9- هانوتو " A . Hanoteau "

10- لابين " La péne "

11- ليونيال " Lioniel "

12- مايير " Mayer "

13- فرعون " Pharaon "

14- بيشو " Péchot "

15- روندون " Rondon "

16- روبان " N.Robin "

17- ترومليي " C . Trumelet "

18- دوما " E.Dummas "

19- دوبلان " CH.Duplan "

20- فابار " Fabar

ومن الكتاب والباحثين الجامعيين الذين ساهموا في توفير المادة العلمية لهذا التوجه الطائفي نذكر منهم :[1]

1- باري "R . Barret "

2- بوديكور " L . Boudicour "

3- هنري باسي " H. Basset "

4- روني باسي " R. Basset "

5- بيل " A. Bel "

6- برنار " A . Bernard"

7- بيبيسكو " H. Bebetco "

8- بورداس " Bbordas "

9- بوليفا " S.A .Boulifa "

10- بوسكي " G . H . Bousquet "

11- كامب " G.Camp "

[1] نصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وأفاق، المرجع السابق، ص 86 .

لقد غطى الإسهام الفرنسي المتعلق بمنطقة القبائل والمؤسس للمسألة البربرية فترة تجاوزت القرن (1826-1930) و أوجد رصيدا معتبرا من الأدبيات والدراسات التي تعالج " إثنولوجية القبائل " من حيث العادات والتقاليد والمظاهر الاجتماعية . فكانت أساسا لما يعرف برصيد الوثائق البربرية " Fond de documentation Berbère " هذا الرصيد الذي حرص الإباء البيض في منطقة الزواوة على جمعه منذ 1847 وعملت مراكز البحث الفرنسي حاليا على توفيره في المكتسبات ليكون مرجعا للباحثيين الفرنسيين لدعاة الفكرة البربرية في الجزائر. شكلت هذه الدراسات حول المسألة البربرية بالجزائر ادبيات أيديولوجية كانت الأسس التي يقوم عليها علم " الاجتماع الإستعماري " ولأهمية هذه الدراسات المؤسسة للدعوة البربرية في الجزائر، فإننا سوف نشير إلى بعض العينات المهمة مرتبة حسب تاريخ ظهورها [1]:

-1835 :ج . فرعون " J .Pharaon " : القبائل وبجاية.

-1837 :أ.دورو دو لامال " A.Dureau de la Malle " : معلومات حول إستسلاء الفرنسيين وإستقرارهم في هذا الجزء من إفريقيا .

-1837 :الضابط هـ.صالادان " H.Saladin " : رسالة حول استعمار الممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا .

-1839:العقيد إيدمون لابين "Colonel Ed . Lapène " :ستة وعشرون شهرا ببجاية – مذكرة تاريخية و أخلاقية وسياسية وعسكرية حول القبائل، طبع جزء منه منفصل بعنوان : لوحة تاريخية و إجتماعية وسياسية حول القبائل 1846 .

[1]FannY Colonna , savants paysans , Eléments d'histiore sur l'Algérie, rurale, Alger ,O.P .U, 1987 p. 96.

نقلا عن نصر الدين سعيدوني: المسالة البربرية ، المرجع السابق ، ص 145.

-1840:القس سوشي " Abbé Suchet ": رسائل أساسية ومثيرة حول البلاد الجزائرية.

-1841:الأب دوغا " Pére Duggas ": بلاد القبائل وشعب القبائل.

-1841:البارون بود " Baron Baude ": الجزائر.

-1841: أ.بافو " E.Bavoux " : رحلة سياسية ووصفية في الشمال الإفريقي

-1844 ش.بروسلار " Ch. Brosselard " : القاموس الفرنسي البربري بمعونة سيدي أحمد بن الحاج علي .

-1845: المارشال ث.ر.بيجو " Maréchal . Th. R .Bugeaud " : عرض للوضع الحالي للمجتمع العربي أو مختلف الأعراق التي تسكن البلاد الجزائرية (عربا وقبائل).

-1847 الكابتن فابار " Captin Fabar " والجنرال اوجين دوما " Général Eu.Dumas " : القبائل الكبرى : دراسات تاريخية .

-1847 ض.دوبلان " Ch . Duplan " : القبائل وبلاد القبائل.

-1848 الكابتن أ. كاريت " Capitian Fabar ": دراسة حول بلاد القبائل الحقيقية .

-1853 الجنرال اوجين ديما " Généraal Eu. Dumas " : عادات وتقاليد البلاد الجزائرية (التل وبلاد القبائل والصحراء) وبلاد القبائل والمجتمع البربري .[1]

[1] نصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص145.

-1857 أ.بيربروجي " A.Berbrugger " : الفترات العسكرية في تاريخ بلاد القبائل والتخوم العسكرية للقبائل الكبرى تحت الحكم التركي (مقاطعة الجزائر)

-1858 ش.ل.فيرو " Ch . Féraud " : مذكرات حول بجاية.

-1859 س . دوفو " C.Devaux " : قبائل جرجرة .

-1861 الطبيب أ.برنار " Dr.A .Bernard " : الحملة العسكرية على بلاد القبائل.

-1863 العقيد ل.غان " Colonel L . Guin ": مذكرة حول الشيخ قاسم القشتولي .

-1863 البارون هنري او كابتين " Baron H .Auaptaine" : القبائل وإستعمار الجزائر

-1866 ن.بيبيسكو " N.Bibisco " : قبائل جرجرة .

-1867 غابريال هانوتو " G . Hanoteau " : الأشعار الشعبية لقبائل جرجرة.

-1871 أو. بومال " Au . Pomel " : أجناس أهالي بلاد الجزائر (عرب، قبائل حضر، يهود)

-1872 العقيد أ.هانوتو " A.hanoteau " وأ. لوتورنو " A.Lotourneau ": بلاد القبائل والعادات القبائلية

-1873 العقيد ن. روبان " Colonel N .Roben ": مذكرة حول التنظيم العسكري والإداري للأتراك ببلاد القبائل الكبرى .

-1875 هـ. فورنال " H.Fournel ": البربر دراسة حول فتح العرب لإفريقيا .

-1878 الطبيب غافوا " Dr .gavoy ":مذكرة حول تيزي وزو.

-1881 م. مرسييه " E . Marcier ": أهالي القطر الجزائري .[1]

-1886 أو. ماسكوراي "E.Masqueray " : تكوين المراكز العمرانية لدى السكان المستقرين بالبلاد الجزائرية (قبائل جرجرة)

-1886 أو. هوداس "O.Houdas " : إثنوجغرافية الجزائر .

-1888 ش . أوبيري " H.E.Perret " : حكايات جزائرية .

-1888 ب . غافار " P. Gaffard " : الجزائر المحتلة .

-1888 كامي فيري " C .Viré " : القبائل .

-1889 أو. شارفينيا " E.Charveniat " : عير بلاد القبائل والمسائل القبائلية .

-1890 ل.رين " L.Rinn " : تمرد القبائل سنة 1871 .

-1895 ج.بواسييه " J . Boissier " : إفريقيا اللاتينية.

-1905 ج.لومستر " G .Le Maistre" : بلاد القبائل والأباء البيض .

-1912 أ. لاوست "E . Laoust " : دراسة حول اللهجات البربرية لشنوة مقارنة بلهجات بني مناصر وبني صالح.

[1] نصر الدين سعيدوني: المسألة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص 146.

-1913 إد. دوتي " Ed.Doutté " و " أو.ف. غوتييه "E.F.Gautier " : تحقيق حول انقراض اللغة البربرية .

-1914 العقيد ل.بيشو " Colonel .L.Béchot ": تاريخ إفريقيا الشمالية .

-1921 أو.برنار " Au . Bernard " : تحقيق حول السكن الريفي للأهالي الجزائريين .

-1923 أو. لارشيه " E.LARCHER " و ج. ريكتيفالد "G. Recteval " : مدونة أولية للتشريع الجزائري .

ذ-1923 لويس بوتران " L . Betrand " : الإسلام ونفسية المسلمين – فصيلة الأجناس . 1930

2. رد فعل سكان المنطقة على الإستعمار الفرنسي:

يعد المظهر العسكري من أبرز مظاهر المقاومة لدى سكان منطقة الزواوة حيث تجسد ذلك بشكل واضح في إستعدادهم لخوض غمار الجهاد ضد الإستعمار الذي سعى للسيطرة على الأرض .فالدفاع عن الوطن كان سمة بارزة في تاريخ الجزائر عامة، ويمكن استعراض المقاومة العسكرية لسكان منطقة الزواوة ضد الإستعمار الفرنسي من خلال مشاركتهم الفعلية في المراحل الأولى لإحتلال الجزائر1830م، وتجلى هذا في العديد من المعارك و الإنتفاضات التي خاضها السكان دفاعا عن أراضيهم و كرامتهم ، حيث أعقب عن ذلك بروز عدد من الزعماء والأعيان في المنطقة الذين حملوا راية الجهاد في أراضي متيجة [1]ضد التوسع الفرنسي ، وانضموا فيما بعد إلى صفوف ثورة" الأمير عبد القادر"تتبع ذلك إعلان "الشريف بوبغلة "و "لالة فاطمة

[1] مزيان سعيدي:السياسة الإستعمارسة الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871-1914م)، المرجع السابق ، ص54.

نسومر" للمقاومة كإستمرارية لرفع راية الجهاد ، ولم تنته بل استؤنف الجهاد مع بداية السبعينات من القرن التاسع عشر ، بنشوب ثورة 1871التي عمت ثلثي القطر الجزائري ، وكان لمنطقة الزواوة نصيبها الثوري منها.

- ومن أثار المقاومة الرافضة للتواجد الفرنسي بالمنطقة أشعلت لهيبها انتفاضة (أرزقي البشير و الإخوة عبدون)مع نهاية القرن التاسع عشر .فعندما كان الجيش الفرنسي يستعد لقيام حملة عسكرية ضد الجزائر ,كانت هذه الأخيرة مستعدة لمواجهته أيضا [1]،حيث أرسل "الداي حسين" المراسيل إلى القبائل و العرب يدعوهم فيها إلى الجهاد ويخبرهم بالنوايا العدوانية التي يضمرها الفرنسيون فأجابوه بأنهم على الولاء لنصرته .وفور وصول الرسالة إلى المنطقة {الزواوة }أرسل زعماؤهم و الأشراف منهم إلى مختلف القبائل بالقرى و المداشر لإحلال السلم فيما بينها و التحضير للثورة من سلاح وذخيرة و مؤونة.

وأما الغير قادرين جسديا على المشاركة فيها شاركوا بأموالهم .

خرج المجاهدين إلى الكفاح في منطقة القبائل، وسارو إلى ساحة المعركة تحت قيادة الأعيان ورايات الزوايا وعلى سبيل المثال :

-عرش آث إيراثن :تحت' قيادة سي محند ناث واعمر '(من قرية ثمازيت) ، وتحت إشراف المرابط "الشيخ سي أحمد السعدي" رافعة راية زاوية {الشيخ أعراب}.

-عرش آث غيري: تحت قيادة 'الشيخ بوحميل' وإشراف المرابط الشيخ {سي أحمد أو مالك}من (قرية ثيفريث ناث)الحاج حاملا لولاء زاويتهم.

[1] حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، المصدر السابق ، ص ص 187-219.

أعراش آث يجر و آسيف الحمام وتيقرين :تحت قيادة محند ناث على وإشراف المرابط الشيخ الموهوب من قرية (ناث أو مالك) .

-عرش إفليس أو مليل :تحت قيادة 'الحاج محمد بن زعموم و الحاج محمد أوشكال' و إشراف المرابط {سيدي إسماعيل }[1].

فمشاركة سكان منطقة القبائل أو زواوة في معركة سطاوالي كانت مشهودة وخاصة أنهم كانوا مقاومين وقناصين من الدرجة الأولى بإستعمال بنادقهم الطويلة التي إشتهروا بها.[2]

إنطلقت المقاومة من الأرياف أمرا طبيعيا بعد سقوط الحكم المركزي وظهور فراغ السياسي[3] .وحاول الفرنسيون أن يفكوا الحصار والخروج من متيجة دخولا إلى البليدة .بدأ "دوبرمون"[4]e bourmontD هذه التجربة وسار في نهجها "كلوزيل"[5] الذي وصل إلى _المدية_وكررها "برتزين"[6]في فترة حكمه بالجزائر .وفي عهد الروق "دوروفيغو"[7]وواقعة {مذبحة العوفية}[8]،وبعد سقوط الجزائر إنسحبت قبائل جرجرة إلى ما وراء المتيجة، ونظمت نفسها من جديد لمنع فرنسا من الخروج من العاصمة وإحتلال المتيجة وما وراءها.

[1]RoBIN(Nil Joseph),<<Notes Historiques sur la Grande Kabylie de 1830.

[2]حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، المصدر السابق، ص ص 190-191 .

[3]جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر1994، ص ص 91-100.

[4]هو الكونت لويس دوشاسن دوبرمون عين قائدا للحملة الفرنسية على الجزائر في 12افريل 1830، ومع قيام الثورة في فرنسا في صيف 1830 (27-28-29 جويلية) استخلفه الملك لويس فيليب بكلوزيل.

[5]الكونت برتران كلوزيل عين حاكما للجزائر بتاريخ 12أوت 1830 حتى جانفي 1831.

[6]البارون بيير برتزين عين حاكما للجزائر بتاريخ 21فيفري 1831 حتى بداية 1832.

[7]ريني سافاري دوروفيغو: حاكم الجزائر بين 1832م-1833م .

[8]عن هذه المجزرة أنظر :

سعد الله أبو القاسم : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط3، 1982، ص89.

استمرت المناوشات بين المجاهدين الجزائريين من أصل التيطري ومنطقة القبائل (جرجرة)وقوات الاحتلال الفرنسي في المتيجة خلال سنتي1833 1834، وقام المقاومين الجزائريين بعد قلة توسع فرنسا في المدن الساحلية، إضافة إلى الإنتصارات التي حققها "الأمير عبد القادر"تصل إلى المجاهدين في متيجة من بينهم "الحاج السعدي" و "الحاج ابن زعموم" و"بلقاسم أوقاسي"الذي أخذ مهاجمة الفرنسيين بقوة .و"الحاج السعدي" الذي عينه الأمير خليفة على المناطق الممتدة من سهل متيجة إلى ناحية الشرق (المناطق الغير خاضعة للحاج أحمد باي –قسنطينة–)، وعند زيارة عبد القادر لمنطقة القبائل أواخر سنة 1837 ونزل ببرج حمزة (البويرة)فاستكمل تنظيم منطقة القبائل وعين مساعدين للخليفة هناك "أحمد الطيب بن سالم" وعين :

–الحاج محمد بن زعموم :'آغا' ناحية فليسة.

–بلقاسم أوقاسي :'آغا' ناحيتي عمراوة ويسر .

–الحاج عمرمحي الدين :'آغا' ناحيتي تاورقة ودلس.

حصل الخليفة على 122 خيمة و 600 بدلة كاملة مع الأسلحة و الذخيرة، وإتخذ "برج سيباو"مركزا لقيادته.فقد لعب دورا بارزا في تفعيل روح المقاومة في المنطقة.وبعد الأربعينات من القرن التاسع عشر ميلادي ظهر زعماء جدد منهم {محمد بن عبد الله } –برعود –وإسمه الحقيقي (محمد بن الهاشمي)، وإلى جانبه {مولاي إبراهيم}.وساعدهم في جهادهم "شيخ الزاوية الرحمانية "باث بوعلي (الشيخ مبارك),فأكثر الفترات الصعبة التي مرت بها المنطقة من(1851إلى 1857)أي إلى غاية سقوط جرجرة في 1857 .

أيضا من المواقف التي أبداها السكان وهو موقف استسلامي وذلك للحفاظ على مصالحهم الخاصة، وانضمامهم لفرنسا منهم (بلقاسم أوقاسي و أخوه محمد)، فكان بلقاسم في صفوف المقاومة إلى غاية

1847 وإستسلم.وعينته فرنسا باشاغا على "سيباو"إلى غاية وفاته[1].وخلفه أخوه 'محمد'، ووجهوا كل قوات المقاومة في المنطقة مثل (بوبغلة والحاج عمر والشيخ الصديق وأعراب)، أيضا من الذين استسلموا نجد (سي الجودي)سنة 1852، وعين باشاغا على منطقة (ذراع الميزان)و(بني صدقاء)، وحاول خنق السكان من خلال بيع لهم رخصة التنقل، ودخول الأسواق التي هي تحت السلطة الفرنسية .رغم أن فرنسا كلفته بتوزيعها مجانا.

أيضا نجد (إبن علي شريف) الذي استسلم سنة 1847 وساعد على إخماد الثورات في المنطقة.

وعند الحديث عن محاولات فرنسا لإحتلال المنطقة و إخضاع سكانها فقد مرت المنطقة بعدة مراحل:

-مرحلة إحتلال بجاية سنة 1833:(بعض المناطق كدلس، بجاية، بني منصور وذراع الميزان)، وقاموا بإحاطتها شرقا وغربا، وهذا لأهميتها الإستراتيجية، والتي تمثل مصدر تعامل خارجي.ولما تنعم به من خيرات زراعية، ولعب الجنرال 'بيجو'[2]دورا في بسط فرنسا نفوذها في المنطقة .

أما عن بوبغلة وفي سوق سور الغزلان سنة 1849، والذي كان يداوي المرضى، ويمارس مهنة التنجيم،وحتى تزوير النقود.كسب لع بعض الزعماء الدينيين في المنطقة .لكن الضباط الفرنسيون والذين وجهوا بوغلة وكتبوا عنه أنه من قطاع الطرق ولص محترف يمارس النهب والسلب، أمثال (روبين)، والذي واجه فرنسا لمدة 4 سنوات، وحرص على إبقاء نار الثورة مشتعلا .

واصل أهل الزواوة ثورتهم بين (1854-1857) بقيادة امرأة مرابطة "لالة فاطمة نسومر"[1] التي تمتاز بالأدب و الجمال والذكاء، وبنت حسب ونسب، وإستمرت الثورة في أنحاء جرجرة تحت تأثيرها، ومن المعارك التي كان لها دورا فيها :

[1] محمد سي يوسف: مقاومة منطقة القبائل للإستعمار الفرنسي ثورة بوبغلة، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، تيزي وزو، 2000، ص43.
[2] توماس ريبور بيجو دولا بيكونوي، دوق إيسلي حاكم الجزائر بين (1841م-1847م).

-معركة وادي سيباو:(مع بوبغلة):في 1854/04/7 .

-معركة إشريضن (الأولى):في 1854/06/17 .

- معركة آث منقلات:في 1854/06/18.

- معركة ثاشكيرت(السنديانة بآث بويوسف):في 1854/07/18 .

-معركة إشريضن (الثانية):في 1857/07/10 .[2]

أما عن احتلال منطقة جرجرة من طرف الفرنسيين فكانت يوم 10ماي 1857، الذي وجه حملة عند القبائل الغير الخاضعة في جرجرة، فجهز حملة تتكون من ضباط وفرق مقسمة إلى ثلاثة:

-الأولى بقيادة "الجنرال رونو".

- الثانية بقيادة "الجنرال ماكماهون".

-الثالثة بقيادة "الجنرال يوسف".

وبمشاركة حوالي {3500}من مختلف جهات الوطن .

---

[1]هي فاطمة بنت سيدي محمد بن عيسى،جدها الأول أحمد اومزيان الذي كان مقدما للطريقة الرحمانية، أما عن أمها فهي تركية (لالة خديجة التي تسمى بها قمة جبل جرجرة)، ولدت في 1830 بقرية ورجة، نشأت في عائلة شريفة ذات شهرة، إضافة إلى جمالها وذكائها وتفضيلها للون الأحمر الذي أصبح يمثل رمز التضحية عندنا، وللتفصيل أكثر عن حياتها ، راجع :عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ،ج4 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1983 ,ص ص 315-344، للمزيد من التفاصيل راجع:

[2]LIOREL (Jules): Kabylie de Djaurdjura ED Ervest Lepaux, Paris, 1892, p. 224.

كذلك أنظر: يحي بوعزيز: ثورات الجزائر القرنين التاسع العاشر والعشرين ، جزء الأول ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، ط 02، الجزائر ، 1996، ص127.

ارزقي فراد، المرجع السابق، ص43.

محمد الصغير فرج: تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى 1954، تعريب موسى زموري، مطبوعات ثالة، الجزائر، 2007، ص107.

أنظر كذلك: التقارير العسكرية في أرشيف الحربية بفانسان (باريس).

كانت أنظار فرنسا موجهة بداية نحو "الأربعاء ناث إيراثن" وإستعملت فيها لغة (الترغيب والتهريب)في 24ماي 1857، وفي 26ماي طالب سكان" الأربعاء ناث إيراثن" الأمان.صاحب ذلك استسلام قبائل {بني فراوسن، بني خليل، بني بوشعايب، بني غبري، بني دوالة، بني محمود وبني صدقاء}.

وفي 11جويلية 1857 استسلمت قبيلة {آث مليكش وآث ايتسوراغ يليلثن، إيلولا أومالو وبني زيكي}.

وفي 13جويلية استسلم آث إيجر، وهكذا استولت فرنسا على منطقة القبائل .

وبعد نهاية الحملة التي دامت شهرين أو أكثر عادت القوات إلى العاصمة في 26جويلية، والتي خافت خسائر في صفوف الفرنسيين {286قتيل و 1032جريح، أما عدد المرضي بلغ 2458 شخصا}[1].

وبعد هذه العملية أصبحت منطقة جرجرة تحت سلطة فرنسا، وعين عليها الرائد"بيشو" قائدا عاما لحصن نابليون الذي أسسه "راندون" الذي إعتبر مقر لدائرة جديدة بعد أن كانت تابعة_ لتيزي وزو _وإنتقلت إليها قبائل تيزي وزو مثل {'إيلولا أومالو' التي كانت تابعة لبجاية[2]، آث زيكي، آث ايجر،أسيف الحمام }وبموجب قرار 29مارس 1861، إنتقلت القبائل التالية من ذراع الميزان إلى دائرة حصن نابليون (أقبيل، آث يني، آث عطاف، آث بوذرار...).

صادر الفرنسيون أملاك قادة المقاومة واعتدوا على زاوية الرحمانية، وعن بقية المشاركين في الثورة،وفرضت عليهم ضرائب وغرامات، ونفي العديد منهم إلى بعض الجزر الفرنسية النائية (سانت مارغريت)،حتى لا يسمع بأحدهم أو يسمع هو شيئا عن أهله ووطنه .

[1]ROBIN, Notes…, op.cit: T45, 1900, p.356.
نقلا عن: مزيان سعيدي: السياسة الإستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها: المرجع السابق، ص 65 .
[2]محمد سي يوسف: مقاومة منطقة القبائل للإستعمار الفرنسي، المرجع السابق، ص 189 .

المبحث الثاني : آثار المسألة البربرية على منطقة القبائل وعلى الجزائر .

1 .على المجتمع القبائلي :

1. أن تعامل فرنسا مع منطقة القبائل مر بثلاث مراحل متتابعة: مرحلة الاستطلاع (التي سبقت الغزو)، ثم مرحلة الاكتشاف المرتبطة بالحكم العسكري، وأخيرًا مرحلة توظيف البحوث العلمية لخدمة الاستراتيجية الكولونيالية، والتي تزامنت مع الحكم المدني.

2. "لم يقتصر الاستعمار الفرنسي على الغزو العسكري لترسيخ وجوده وفرض سيطرته على الجزائر، بل اعتمد كذلك على عدة استراتيجيات، من بينها استغلال الصراعات المستمرة بين القبائل المختلفة في منطقة القبائل، بهدف تفكيكها وزعزعة بنيتها الاجتماعية التي تُعد من أكثر البُنى البشرية تماسكًا وصلابة [1]

3. سعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى الإبقاء على المؤسسات الاجتماعية التقليدية في منطقة القبائل، تجنّبًا لأي صدام مباشر مع السكان المحليين، ولقناعتها بأن هذه المؤسسات تُعد آليات تنظيمية صارمة تُشرف على مختلف جوانب الحياة في القرى. ومن هذا المنطلق، رأت أن السيطرة عليها تعني السيطرة على المنطقة برمّتها. ولذلك قامت بتعديل بعض جوانب هذا النظام، حيث عيّنت 'خوجة' لكل 'ثاجماعث' يتولى مهمة جمع الضرائب. وللحفاظ على التوازنات الدقيقة بين العائلات والصفوف المختلفة داخل القرى، أُنشئ منصب 'الوكيل' من الصف المعارض للصف الذي ينتمي إليه 'لمين ثاجماعث'. كما فُرض تعيين 'طامن'، على رأس كل 'خروبة' من قِبل 'لمين' الجماعة، إلى جانب 'عاقل' يعيّنه 'الوكيل'، على أن يحضرا معًا مداولات الجمعية العامة. وبهذه الطريقة، تحولت مؤسسة 'ثاجماعث' التقليدية إلى أداة إدارية خاضعة للسلطة الاستعمارية، مع التركيز على إشراك العائلات الكبرى والنافذة في القبيلة. كذلك، استثمر الاستعمار في الصراع

[1] Tocqueville, A : lettre sur <l'Algerie, http:// bibliotheque. uqac. uquebec. ca/index htm,p.11.

التقليدي بين 'الصف العلوي' و'الصف السفلي'، اللذين يُشكّلان البنية الاجتماعية لمعظم قرى منطقة القبائل، حيث عمد إلى استقطاب زعماء القبائل المتعاونين مع فرنسا واستخدمهم للتأثير على القبائل التي لم تخضع بعد للحكم الاستعمارى.

4. سعى الاستعمار الفرنسي داخل قرى منطقة القبائل إلى استغلال التركيبة الاجتماعية، المكوَّنة أساسًا من فئة 'المرابطين' وباقي سكان المنطقة، حيث اعتمد بشكل خاص على 'المرابطين' في تعيين القيادات المحلية. فخلال الفترة الممتدة بين 1840 و1895،[1] جاءت غالبية التعيينات القيادية من هذه الفئة، باستثناء حالات نادرة فُرضت بقوة السلاح. هذا الواقع دفع جنرالات الجيش الفرنسي إلى توخّي الحذر من احتمال اندلاع انتفاضات، ما جعلهم يتعاملون بمرونة مع الوضع، وغالبًا ما كانوا ينتظرون وفاة الزعماء التقليديين من العائلات الكبيرة ذات النفوذ 'اللائكي' ليُعيّنوا خلفًا لهم من فئة 'المرابطين'. ويُلاحظ في هذا السياق أن تصنيف بعض القبائل بكونها 'لائكية' يعود إلى هذا الفصل المنهجي الذي اعتمده الاستعمار بين 'المرابطين' وباقي العائلات القبائلية غير المنتمية إلى هذه الفئة، دون أن يكون لهذا الوصف أي ارتباط بمفهوم اللائكية المعروف في الفكر الغربي ".

5. تمثّل أحد أبرز الأساليب التي انتهجها الاستعمار الفرنسي في منطقة القبائل في إنشاء ما عُرف بـ'المكاتب العربية'، والتي أشرف عليها ضباط فرنسيون اعتمدوا سياسة تقوم على استغلال البنية القبلية التقليدية، لا سيما من خلال التركيز على طائفة 'المرابطين'، المعروفة بإلمامها العميق بجغرافيا المنطقة ومجتمعها. وقد وُضعت هذه الفئة في مواجهة العائلات الكبرى غير المرابطية، التي وُصفت بأنها 'لائكية'. واستُثمرت قدراتهم في القراءة والكتابة باللغة العربية، الأمر الذي يُفسّر عملية التعريب الواسعة التي شملت أسماء العائلات، القرى، الأماكن، الأودية، الجبال، والبُنى الاجتماعية، وحتى القيم الثقافية مثل 'النيف' و'الحرمة'. فعلى سبيل

[1]Ch-r .ageron: l'Algérie algérienne de napoleon lll à degaulle ,sindbad,1980, p.39.

المثال، تحوّلت أسماء أماكن مثل 'آث' إلى 'بني'، و'أذرار' إلى 'جبل'، و'إغزر' أو 'ثاسيفث' إلى 'وادي' [1] .'وقد ساهمت هذه السياسة في تعزيز المكانة الرمزية للمرابطين، إذ أصبحوا يوثقون تاريخ المنطقة ويعيدون بسط نفوذهم السياسي الذي فقدوه سابقًا. في هذا السياق، لعبت المكاتب العربية دورًا محوريًا فيما يُعد 'سلخًا هوياتيًا (déberbérisation) 'لمجتمع القرى القبائلية. وكان الضباط الفرنسيون على رأس هذه المكاتب يديرونها بإحكام، [2]عبر نظام نُهُب منظم، وتحريض متعمّد على الانتفاضات لتبرير عمليات القمع، ومصادرة الأراضي، والجباية.في المقابل، شهدت المنطقة خطوات متسارعة نحو التعريب، تجسدت في فرض ما سُمِّي بـ'الإدارة بالعربية .(administration à l'arabe) '[3]

واعتقد ضباط هذه المكاتب أن اللغة العربية يجب أن تكون وسيلة التخاطب الموحدة في شمال إفريقيا. بل إن بعضهم، ممن تأثروا بالمقاربات الاستشراقية، اعتبروا التعريب مرحلة أولىضرورية في مسار 'التمدين' والتحضير، قبل تعليم اللغة الفرنسية، والذي لا ينبغي أن يتم إلا بعد اجتياز هذه المرحلة[4]".

6. "تم تأسيس ما عُرف بـ'السياسة القبائلية' على مبدأ الإبقاء على الهياكل القبلية التقليدية ضمن أشكالها الجمهورية، من خلال تفويض السلطة إلى أمناء القبائل، واستغلال الانقسام الداخلي المعروف بـ'الصف'، حيث تتكوّن كل قرية عادة من 'صف علوي' و'صف سفلي'. كما استندت هذه السياسة إلى توظيف نفوذ العائلات الكبيرة، والحفاظ على القوانين العرفية القديمة السائدة في المنطقة، التي اعتبرتها السلطات الاستعمارية الفرنسية متوافقة – من وجهة نظرها – مع روح القانون العام الفرنسي.وقد نصّت أمرية الماريشال 'راندون' الصادرة في 3 ديسمبر 1859 على ضرورة الإبقاء على هذه القوانين العرفية، مع تنقيتها من بعض

[1] Tacqueville .A :op.cit . p.06.
[2]-Violard(e) :les villages algeriens1870-1890, T02, imprimerie administrative victor heintz, alger,1926, p.10.
[3]Liorel(jules): Kabylie du Djurdjura, paris, Ernest Leroux éditeur, 1898, 14-morizot(j): l'Algérie kabylisée, cahiers del'afrique et l'asie, editions j.peyronnet et cie, paris, 1962 ,p.233.
[4] Le glay : l'école française etla question berbere, direction générale de l'instruction publique, des beauxarts et des antiquités, rabat,1921, p.11.

العناصر 'البربرية'، في إشارة ضمنية إلى أحكام الشريعة الإسلامية. ومع ذلك، عبّر بعض المسؤولين الفرنسيين، ومنهم مدير الشؤون الأهلية المستعرب 'لوتشياني'، عن مواقف مغايرة. ففي عام 1916، صرّح بأنه يحتقر عادات القبائل التي وصفها بالخرافية والبربرية، واعتبر أن الإسلام، مقارنة بها، يمثّل مرحلة أكثر تطورًا وإنسانية على مستوى الحضارة[1]".

7. اعتمدت الإدارة الاستعمارية الفرنسية سياسة التقسيم الإداري لمنطقة القبائل بهدف تسهيل السيطرة على السكان المحليين، وزرع الانقسامات داخل النسيج الاجتماعي الموحد للمنطقة. وفي هذا السياق، يشير المناضل حسين آيت أحمد إلى أن تسميات 'القبائل الكبرى' و'القبائل الصغرى' ما هي إلا تسميات اعتباطية ابتدعتها الإدارة الاستعمارية لتقسيم سكان جانبي جبال جرجرة، الشمالي والجنوبي، وقد أدّى هذا التقسيم، على سبيل المثال، إلى إلحاق منطقة الصومام إداريًا بمقاطعة قسنطينة[2].

ويؤكد الباحث الاستعماري 'Morizot' هذه الرؤية بقوله إن جبال جرجرة، رغم أنها تفصل منطقة متجانسة لغويًا واجتماعيًا، قُسِّمت إلى منطقتين غالبًا ما تكونان في حالة عداء: الأولى تواجه الجزائر العاصمة وسُمِّيت 'القبائل الكبرى'، والثانية تتبع قسنطينة وسُمِّيت 'القبائل الصغرى'. كما تم التفريق

داخل 'القبائل الكبرى' بين 'القبائل العليا' و'القبائل السفلى'، وفي 'القبائل الصغرى' بين قطاعَي الصومام وڤرڤور[3]. وقد ساهم هذا التقسيم في تغذية الفتنة بين المنطقتين، من خلال ترسيخ فكرة أن 'القبائل الصغرى' أكثر تدينًا وتعربًا، مقابل الترويج لادعاء تفوّق 'القبائل' على غيرهم من المكونات الأمازيغية الأخرى مثل الشاوية، والطوارق، والمزابيين، في محاولة لإحداث شرخ داخل الإطار الأمازيغي الجامع".

[1] Ageron:1980 , op.cit , p.879.
[2].Ait ahmed, memoires d'un combattant ,l'esprit d'independance1942 / 1952,sylviemessinger editeur, paris, 1983, p.71.
[3] Morizot (j): L'Algérie Kabylisée, cahiers de l'Afrique et l'Asie, edition j. peyronnet et cie, paris . 1962, p.p. 34-35.

8-انخرط عدد من الباحثين والكتّاب الاستعماريين في رسم صورة أسطورية لمنطقة القبائل، عبر الترويج لثنائية مفترضة بين 'الجنس القبائلي' المقيم في الجبال و'الجنس العربي' المنتشر في السهول والهضاب. وقد ذهبوا إلى حدّ الادعاء بأن القبائل ينحدرون من أصول جرمانية، وأنهم يُجسّدون قيَمًا مسيحية كحبّ العمل وتقديسه، تقدير المرأة، والميل الفطري إلى المساواة، والأخوة، والتضامن التلقائي. واعتبروا أن هذا الميل الفطري للمساواة يجعلهم بطبعهم رافضين لفكرة الزعيم المطلق أو السلطة الفردية.

وقد استغلت الإدارة الاستعمارية هذه السمات المدعاة بذكاء، فوجدت في نمط الإدارة القروية القبائلية — القائم على التشاور الجماعي — نموذجًا يُسهّل عليها السيطرة دون اللجوء إلى القمع المباشر. فالسياسة الاستعمارية رأت في هذا النظام آلية فعالة لضمان الأمن والاستقرار في المنطقة، بل ربما أكثر نجاعة من القوانين الوضعية الفرنسية نفسها. ومن هذا المنطلق، لم يكن تبنّي هذا النموذج نابعا من تعاطف مع القبائل أو ما يُعرف بـ'السياسة القبائلية الموالية(politique Kabylophile) '، بل كان نابعًا من رؤية واقعية براغماتية تهدف إلى تأبيد السيطرة الاستعمارية.

وفي نهاية المطاف، سمح هذا التوظيف التكتيكي للبنية القبلية بإعادة تشكيلها وفق المصالح الاستعمارية، ما أدى إلى تفكيك التنظيمات التقليدية والقضاء على القيادات الروحية التي كانت تمثل عماد السلطة المعنوية لكل قبيلة".

9. من المسلّم به أن كل مشروع استعماري يستدعي إعداد سياسة ممنهجة تجاه الشعوب المستعمَرة، ولم تكن فرنسا الاستعمارية استثناءً من هذه القاعدة. فقد عمدت إلى توظيف المدرسة كأداة مركزية لصياغة مشروع بعيد المدى، يهدف إلى تفكيك البنيات الذهنية للمجتمع القبائلي، وفصله عن دينه، تمهيدًا لإدماجه في الأمة الفرنسية، وابتلاعه ثقافيًا وحضاريًا. ويُعبّر 'جول ليورال' عن هذا التوجه بوضوح حين يقول:

«لقد بدأت تظهر الأعراض الملائمة والمشجعة، على الأقل مدارسنا أكثر تأثيرًا من مساجد الإسلام، وهو ما يتيح لنا إطلاق طموحات كبرى[1].في هذا السياق، عمل الاستعمار الفرنسي على تكوين نخبة قبائلية اضطلعت بمهمة التدريس، وشكّلت لاحقًا النواة الأولى للحركات الوطنية، النقابية والطلابية. وقد انخرط العديد من أفراد هذه النخبة في التيارات اليسارية، إلى أن ظهرت الأحزاب الوطنية التي تبنّت مشروع استقلال الجزائر، وما رافقه من ضرورة تصوّر هوية الدولة المستقلة. وبرز في هذا الإطار ما عُرف بالأزمة البربرية، التي تزعمها عدد من الشباب القبائلي المتعلّم، والذين طرحوا لأول مرة مشروع 'الجزائر الجزائرية'، في مقابل 'الجزائر الفرنسية' كما أرادها الاستعمار، و'الجزائر العربية المسلمة' كما تصورها التيار الوطني آنذاك.ومع أن فرنسا حاولت استغلال التمايزات العرقية والثقافية داخل المجتمع الجزائري، وسعت إلى استمالة منطقة القبائل عبر إغداق التعليم، فإن هدفها النهائي كان ضمان السيطرة على التراب الوطني وتكريس مبدأ 'فرّق تسد'. غير أن منطقة القبائل لم تنخرط في هذا المشروع، بل كانت في كثير من الأحيان عائقًا في وجهه.وتطرح هذه المعطيات تساؤلات مشروعة: هل كانت منطقة القبائل متواطئة مع الاحتلال الفرنسي؟ هل حظيت بامتيازات اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية مقارنة بباقي مناطق الجزائر؟ الواقع يفنّد هذه الأطروحات؛ فالمنطقة تعرّضت لسياسات قمعية ممنهجة شملت مصادرة الأراضي، ما أدى إلى المجاعات وهلاك الآلاف، إلى جانب ممارسات ضريبية جائرة مارستها المكاتب العربية لدفع السكان نحو الانتفاض، وتبرير العقوبات الجماعية كالقمع، القتل، النفي، وحرق القرى والممتلكات.كما ساهمت هذه السياسة في تكريس الانقسام الثنائي بين 'العربية–الإسلامية' و'الفرنسية–المسيحية'، مع تجاهل تام للمكوّن الأمازيغي، رغم كثافة الدراسات التي تناولته، ما يعكس بجلاء الطابع الانتقائي والانتهازي للسياسة الاستعمارية".

[1]Loirel (jules): Kabylie du Djudjura, paris, Ernest Leroux éditeur, 1898, p.16 .

2. على المجتمع الجزائري :

انطلقت الحكومة الفرنسية في تحركاتها من قناعة راسخة بأن تفكيك القبيلة يشكل خطوة أساسية، كونها تمثل العنصر الجهوي في البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري. لذلك وضعت فرنسا إستراتجية استهدفت العديد من الركائز الحيوية لهذا الكيان الاجتماعي، شملت الأرض والسلطة والإدارة والضرائب .

أصدرت السلطات الفرنسة جملة من التشريعات والقوانين والمراسيم المتداخلة والمعقدة، بهدف تحقيق غايتها الأساسية المتمثلة في تفكيك القبيلة، باعتبار أن زوالها يؤدي إلى تفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري .[1]

مثلت الأرض بالنسبة للمستعمر الفرنسي عنصرا مقدسا، باعتبارها قاعدة أساسية لتطور ونمو المشروع الاستيطاني ، وركيزة أولى لضمان البقاء الدائم في ان يعزز الادعاء بأنها جزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي . في المقابل كانت الأرض تشكل أساس حياة القبيلة وضمان استمراريتها. لذلك سعت الإدارة الفرنسية إلى إحكام السيطرة عليها من خلال تشريعات متعددة تُسّهل عملية المصادرة، وإقصاء السكان الجزائريين غير المرغوب فيهم , ومنح الأراضي للمعمرين الذين تم استقدامهم بمختلف الوسائل بهدف ترسيخ الاستيطان .[2]

تعددت المراسيم والقوانين والتشريعات التي وضعتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية للتحكم في الأراضي ومصادرتها، حيث اتسمت بالتشابك والتداخل في مضامينها. فقد نص مرسوم 1 أكتوبر 1844 في مادته

[1] يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، منشورات عويدات، لبنان ،1986، ص 18.

[2] الهواري عدي: الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830 -1962، ترجمة: جوزيف عبد الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1983، ص 255.

الرابعة على إمكانية المصادرة لأغراض المنفعة العامة، بينما منح مرسوم يوليو 1845 السلطات الفرنسية الحق في الاستيلاء على أراضي القبائل التي أبدأت مقاومة الاحتلال .[1]

أما مرسوم 21 يوليو 1846، فقد أجاز مصادرة الأراضي غير المستغلة وضمّها إلى أملاك الدولة .[2]

وتوسع هذا التوجه مع قانون 16 يوليو 1851، الذي وضع آلية لضم الغابات إلى الملكية العامة [3]،

مما أدى إلى إستحواذ الدولة على ما يقارب 6000 هكتار من أراضي القبائل. كما عاد قانون 19 جوان 1958 التأكيد على شرعية المصادرة بدعوى المنفعة العامة، في حين جاء قانون 18 يوليو 1857 ليمنح الإدارة الاستعمارية صلاحيات أوسع تسمح بإختراق ملكية الأهالي في مختلف المناطق دون قيد. وبموجب هذه التشريعات، تمكنت الإدارة الاستعمارية الفرنسية من الاستيلاء على ما يقارب نصف مليون هكتار من الأراضي في مختلف أنحاء الوطن .[4] ولأنها كانت تدرك أن غالبية أراضي القبائل تتسم بطابعها المعاشي والجماعي، مع ندرة في وجود عقود ملكية فردية موثقة، عمدت إلى توسيع وتكثيف آلياتها القانونية والتشريعية لتسهيل الاستيلاء على المزيد من الأراضي، مستغلة هذا الوضع القانوني الهش لترسيخ سيطرتها وتوسيع القاعدة العقارية للمستعمرين. وبفعل هذه الإستراتجية الاستعمارية القائمة على المصادرة والحصر وجد الأهالي أنفسهم في مناطق نائية، لا توفر الحد الأدنى من شروط الحياة الكريمة، ولا تضمن لهم حتى لقمة العيش.

ان إجراءات ترسيخ الملكية الفردية كانت تهدف بالأساس إلى تفويض نضام الملكية الجماعية الذي كان سائدا ضمن الأطر التقليدية للمجتمع القبلي في الجزائر، وذلك من خلال تعزيز تملك الفرد على حساب

[1] شارل روبير اجيرون: الجزائر مسلمون وفرنسا 1871-1919، الجزائر، 2007، ص ص 131 -132.

[2] الهواري عدي: المرجع نفسه، ص 61.

[3] سعد الله أبو القاسم: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900، المجلد ج 2 ، دار البصائر، الجزائر، 2007 ، ص ص 24 -25.

[4] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 90 .

الجماعة. وقد سعت هذه السياسة إلى فك ارتباط الفرد بالتزاماته القبلية، مما أدى إلى تفكيك الروابط الاجتماعية داخل القبيلة، وكان لمصادقة مجلس الشيوخ على القرار المؤرخ في 22 أفريل 1863 الذي يعد أحد أبرز أدوات تفكيك البنية القبلية، أثر عميق في زعزعة أسس المجتمع القبلي الجزائري وإضعاف تماسكه.

أتاح هذا القانون للجزائريين داخل القبيلة حق الملكية الفردية و ما سمح بإجراء معاملات تجارية فردية مع الأوروبيين، بدلا من الاعتماد على نظام الملكية الجماعية الذي كان وفق المنطق التقليدي القبلي، غير قابل للبيع او التفويت، وبذلك رأت الإدارة الإستعمارية الفرنسية أنه من الضروري استخدام سلطتها لتفكيك نظام الملكية الجماعية، باعتباره حجر أساس في بنية القبيلة وتماسكها .

أما المادة الثانية من القانون فقد نصّت على توزيع وتجزيء الأراضي بين العشائر والدواوير داخل القبيلة[1] حيث تم تحديد الحدود الإدارية وتقسيم الملكيات بشكل رسمي . وقد أدى هذا الإجراء إلى تجميع سكان ينتمون إلى قبائل مختلفة ضمن دوار واحد، ما ساهم في تفكيك البنية القبلية، وإضعاف الروابط الاجتماعية والانتماءات العشائرية التي كانت تشكل أساس التنظيم المجتمعي المحلي. في المقابل احتفظت السلطة الإدارية الفرنسية بحق اقتطاء أجزاء من الأراضي وتضمينها في الصندوق العقاري الذي كان تحت سيطرة المستوطنين (الكولون) . ويشير فانتان ان مرسوم أفريل 1863 قد ساهم بوضوح في تفكيك البنية القبلية وتمزيقها، مما أدى إلى إضعاف القبائل والمجتمع التقليدي .[2]

يلاحظ من تطبيق قانون 1863 انه سعى إلى فصل أراضي الملك عن أراضي العرش، أي التمييز بين الأراضي الخاصة، سواء كانت فردية او جماعية، وبين الأراضي الجماعية التابعة للقبائل. وقد كان الهدف

[1] الهواري عدي: المرجع السابق، ص 363.

[2] عبد اللطيف بن أشنهو: تكون التخلف في الجزائر محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر 1830-1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 60 .

الأساسي من هذا الإجراء هو الاستيلاء على أراضي القبائل وتحويلها إلى سلعة قابلة للتداول داخل السوق العقارية.

وما ان حل النظام المدني حتى خرجت علينا فرنسا بقانون عقاري جديد عرف بقانون وارني جويلية 1873[1] الذي أكد على تبني آلية الملكية الفردية، ملغيا بذلك جميع الحقوق العقارية المبنية على أحكام الشريعة الإسلامية، وكذا الأعراف والتقاليد التي كانت تنظّم الملكية داخل المجتمع الجزائري .

وقد أسهم هذا القانون في زرع الفتنة العقارية بين الأفراد، حيث أدى إلى نشوب نزاعات حادة حول الملكية، بلغت في بعض الأحيان حد الإقتتال.

وبالموازاة مع عملية تفكيك القبائل عبر القوانين العقارية، عمل المستعمر على وضع منظومة إدارية تهدف إلى التحكم في الأهالي وقطع ارتباطهم بالأطر التقليدية الممثلة في القبيلة وزعيمها. وقد سعى إلى ذلك من خلال التقرب منهم ومراقبتهم، فتم تأسيس ما يُعرف بـ"العربية المكاتب " سنة 1844، والتي أوكلت لها مهام متعددة، من بينها الإعلام، والرقابة، والتفتيش. كما مُنحت صلاحيات واسعة تشمل الوظيفة الإدارية، وتحصيل الضرائب، والإحصاء، وتنظيم جولات تفقدية داخل القبائلوقد أكد الإمبراطور نابليون الثالث في رسالة وجّهها إلى ماكماهون بتاريخ 25 جويلية 1865، أن المكاتب العربية قد نجحت في تحطيم بنية القبائل التقليدية، وأخضعتها لشتى أشكال القلاقل الإدارية، ما ساهم في إضعاف سلطتها التقليدية وزعزعة استقرارها..

[1] محمد بليل : تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين 1881 1914، دراسة نماذج من التشريعات وتطبيقاتها على الجزائر بالقطاع الوهراني، عمالة وهران، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، 2013، ص 68.

خـاتمـة:

خاتمة:

من خلال ما سبق لنا ذكره في فصول هذه الدراسة، يمكننا أن نستنتج ما يلي:

– تناولت هذه الدراسة من خلال فصولها الأربعة موضوع المسألة البربرية في الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1830 إلى 1930، حيث شكلت هذه المسألة أداة مركزية في يد الاستعمار الفرنسي لتفكيك البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري. فمنذ بداية الاحتلال، لم تقتصر أهداف فرنسا على الاستيلاء على الأرض والثروات، بل تجاوزتها إلى محاولة بسط الهيمنة على الهوية والعقول، عبر تطبيق سياسات تهدف إلى زعزعة وحدة الشعب الجزائري، من خلال افتعال القطيعة بين العرب والأمازيغ، وضرب الروابط الدينية والثقافية التي تجمعهم."

– تُعد المسألة البربرية، من حيث مضامينها والأفكار التي سعت إلى ترسيخها، جزءًا لا يتجزأ من المشروع الاستعماري الذي خضعت له الجزائر طيلة 132 سنة (1830–1962). وقد ارتكز هذا المشروع على محاولة تقويض الثوابت الحضارية للشعب الجزائري، والمتمثلة أساسًا في الإسلام والعروبة، باعتبارهما ركيزتين أساسيتين لهويته الوطنية."

–إن المسألة البربرية ظلت محصورة في منطقة القبائل ولم تتبنى أفكارها المناطق التي تتكلم لهجات بربرية أخرى مثل: منطقة الأوراس وميزاب والهوقار، وهذا ما جعل الحركة البربرية حسب تعبير الجنرال آندري قضية قبائلية لا أكثر ولا أقل.

–إن المسألة البربرية تم إعدادها خصيصا لنشر الفتنة والتفرقة بين الجزائريين (العرب والبربر) ونشر الفتنة داخل أوساط شعبه باسم الثقافة البربرية.

– لم يكتف الفرنسيون بأنهم شحنوا من تكوَّن بين أيديهم بفكرة التميز اللغوي والثقافي للمنطقة عن الثقافة العربية الإسلامية، حتى راحوا يشككون حتى في الأصول العرقية لأهل منطقة زواوة.

_يمكن القول إن الجدل السياسي في الجزائر حول المسألة الأمازيغية قد اتخذ أبعادًا إيديولوجية، رغم أن الغالبية العظمى من الجزائريين تُجمع على ضرورة تحصين الهوية الأمازيغية من كل محاولات التوظيف السياسي أو الاستغلال الإيديولوجي الذي يهدد وحدة الوطن. فبينما يرفض الجزائريون أي تقسيم عرقي أو لغوي للجزائر، يسعى بعض الأطراف إلى تحويل هذه المسألة إلى طرح عرقي متطرف، من خلال استخدام مفردات ومفاهيم

تخلط عمدًا بين الهوية والانتماء من جهة، وبين العنصرية والإقصاء من جهة أخرى، بل ويُتهم كل صوت مخالف أحيانًا بالعمالة أو التبعية للاستعمار."

-السياسة البربرية التي نشأت وترعرعت في منطقة القبائل لم تكن إلا تجربة استعمارية لضرب معالم المجتمع الجزائري التي كانت قائمة على اللغة العربية والدين الإسلامي.

-ومن النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة أن التأسيس للسياسة البربرية قبل الاحتلال وبعده بدافع الحقد الديني بالدرجة الأولى وكون السياسة البربرية التي طبقت تدخل ضمن سياسة فرنسا في الجزائر، لذلك كان لابد من إنجاحها بكل الوسائل المادية والمعنوية.

-ومن أبرز نتائج هذه الدراسة أن السياسة البربرية لم تكن سوى حلقة ضمن حلقات المشروع الاستعماري الفرنسي، وقد وجدت لها أنصارًا من بعض أبناء منطقة القبائل، وهو ما شجّع الإدارة الاستعمارية على تكثيف جهودها في هذه الجهة تحديدًا. وقد تمكنت، في مرحلة أولى، من استلاب فئة معتبرة من سكان المنطقة، واستغلالها كأداة فعالة لنشر هذه السياسة وترسيخها داخل الحدود الجغرافية لمنطقة القبائل.

- إن التوافق الكلي و المرحلي بين السياسي الفرنسي و العسكري والمثقف والمتدين حول السياسة البربرية وسبل دعمها و إنجاحها، قد يكون أحد أسباب نجاح المسألة البربرية داخل منطقة القبائل.

-لانعكاسات المسألة البربرية ليست داخل الجزائر فقط وإنما خارجها أو بمعنى أدق هو تصدير المسالة البربرية من الجزائر إلى الدول المجاورة.

-ارتكزت هذه المسألة الخطيرة بالدرجة الأولى على فكرة التمييز العرقي بين العنصر البربري وباقي سكان إفريقيا الشمالية والجزائر على وجه التحديد حتى وان كانت هذه الأدبيات ضعيفة.

- المسالة البربرية التي تم الترويج لها ما هي إلا معول للهدم والتخريب لذلك وجب البحث عن جذورها وملابستها والظروف التي أحاطت بها ودور الاستعمار الفرنسي فيها، ودوره في تغذيتها من خلال تحريفه للواقع الاجتماعي للمجتمع الجزائري.

-حظيت منطقة القبائل باهتمام خاص من قبل السلطات الفرنسية، في محاولة منها لخلق خصوصية قبائلية ثم كيان قبائلي وفق مشروع استدماري هدام إستهدف الأمة الجزائرية.

-لقد عرف سكان المنطقة (الأمازيغ) مظاهر حضارية بارزة سجّلها التاريخ، واعترف بها حتى بعض الكتاب والباحثين الفرنسيين في مؤلفاتهم، حيث كشفوا عن وجود تنظيمات سياسية وإدارية متقدمة، إلى جانب نشاط اقتصادي متنوع، ولغة وثقافة متميّزتين. غير أن هذا الاعتراف لم يكن بريئًا دائمًا، إذ سعت بعض الأطراف الاستعمارية إلى تأويل هذه الخصوصيات الحضارية وربطها بالرومان، في محاولة لإضفاء طابع روماني على الهوية الأمازيغية، والترويج لفكرة وجود نظام مستقل ومتمايز عن باقي مكوّنات المجتمع الجزائري.

-لقد قسم الفرنسيون المنطقة إلى منطقة القبائل الكبرى (غرب جرجرة) والقبائل الصغرى (شرق جرجرة) وأكثر من ذلك فقد قسموا الأولى إلى قبائل عليا وقبائل سفلى والثانية إلى قبائل الصومام والبابور والبيبان والقرقور خدمة لمصالحهم الاستعمارية القائمة على مبدأ التميز لإحلال التمايز.

-سعى الاستعمار الفرنسي إلى تكريس سياسة قبائلية قائمة على الوهم القبائلي توطدت دعائمها في فكر سياسيين عسكريين و أكاديميين ورجال الدين حاولوا جميعهم استفراد العنصر البربري بخصائص تجعله أكثر تأهيلا لتقبل المشروع الاندماجي الفرنسي وبالتالي الانصهار في بوتقة الحضارة المسيحية الأوروبية.

-لقد حافظ سكان منطقة القبائل على خصوصية نظامهم الاجتماعي (**ثاجماعت الأمين الوكيل**) رغم محاولة فرنسا للهدم إلا أن هذا العنصر بقي في مكون المجتمع القبائلي.

- تُعد المسألة البربرية، بما تحمله من أفكار وما تسعى إلى ترسيخه من تصورات، امتدادًا طبيعيًا للمشروع الاستعماري الذي خضعت له الجزائر طيلة 132 سنة (1830–1962). وقد استهدف هذا المشروع تقويض الثوابت الحضارية للشعب الجزائري، وفي مقدمتها الإسلام والعروبة، باعتبارهما ركيزتين أساسيتين لهويته الوطنية. ومن هذا المنطلق، تعمّد مروّجو هذه الأطروحات إخفاء جذورها الاستعمارية، إذ إن كل دعوة معادية للإسلام في السياق الجزائري انطلقت في الأصل من تصورات استعمارية وضعها ضباط فرنسيون، وسعت الإدارة الاستعمارية إلى تجسيدها ميدانيًا بهدف ضرب وحدة الشعب وإحداث شرخ في نسيجه الاجتماعي والثقافي."

- تشير الشواهد التاريخية إلى أن الجزائر، منذ أقدم العصور وحتى بداية الاحتلال الفرنسي سنة 1830، لم تشهد مظاهر عنصرية واضحة أو صراعات عرقية تُذكر، إذ لم تسجل المصادر التاريخية، منذ الفتح الإسلامي، أي حركات مناهضة للعرب أو معادية لهم. وحتى بعد الاحتلال، ظلّ تطبيق السياسة البربرية الفرنسية، إلى

غاية ما بعد الحرب العالمية الأولى، محصورًا ضمن أطر إدارية ضيقة، ولم يتحول إلى مشروع استعماري متكامل إلا في مراحل لاحقة، عندما بدأت فرنسا في توسيع نطاق هذه السياسة لتوظيفها في تفكيك البنى".

-سعى الاستعمار الفرنسي إلى ترسيخ سياسة تقوم على النزعة القبلية، مستندًا إلى ما يُعرف بـ"**الوهم القبائلي**"، وهي فكرة غذّاها عدد من السياسيين والعسكريين والأكاديميين ورجال الدين الفرنسيين، فقد عمل هؤلاء على تمييز العنصر الأمازيغي (البربري) ومنحه صفات وخصائص تجعله بحسب زعمهم أكثر قابلية لتقبّل مشروع الاندماج في الحضارة الفرنسية المسيحية الأوروبية، ومن أبرز من تبنّى هذه السياسة الباحث الفرنسي ماسكراي، الذي دعا إلى مناصرة القبائل الأمازيغية ومعاداة العرب المسلمين، واعتبر أن البربر كانوا ضحية استعباد من طرف العرب، مطالبًا بمحاربة كل أشكال التوجه الإسلامي لدى الأمازيغ والعمل على "تحريرهم" ثقافيًا ودينيًا، بما يخدم المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر.

-لقد جاءت محاولات فرض القوانين العرفية بدل الشريعة، وإحياء الأعراف المحلية بمعزل عن المرجعية الإسلامية، لتجسد إستراتيجية استعمارية عميقة المدى. كما مثّلت **المكاتب العربية** و**المرسوم البربري لسنة 1930م** ذروة هذا المسعى، في محاولة لعزل الأمازيغ ثقافيًا وقانونيًا عن بقية الجزائريين وربطهم بالمشروع الاستعماري الفرنسي.

-إن هذه السياسات لم تمر دون ردّ فعل، فقد ساهمت في خلق وعي مضاد، ودفعت العديد من النخب الوطنية "عربًا وأمازيغ"، إلى إدراك أهمية الوحدة في مواجهة الاستعمار، وهكذا تحوّلت المسألة البربرية من وسيلة للتفريق إلى حافز لتعزيز الوعي الوطني، ساهم لاحقًا في تشكيل ملامح الحركة الوطنية الجزائرية، وعليه فإن فهم المسألة البربرية لا يكتمل دون ربطها بالسياق العام للمشروع الاستعماري الذي استهدف الهوية والوحدة الوطنية، وهو ما يُبرز أهمية التمسك بالذاكرة التاريخية كأداة لبناء الحاضر والمستقبل.

الملاحق:

الملحق رقم 01:

[1] Féroud , Laurent Charles (1829-1888)

[1] Alain Massaoudi, Les arabisants français et la "réforme" en Afrique du Nord. Autour de Louis Machuel (1848-1922) et de ses contemporains », in Odile Moreau (éd.), Réforme de l'État et réformismes au Maghreb (XIXe et XXe siècle), Paris/Tunis,
L'Harmattan/Publications de l'IRMC, 2009.

الملحق رقم02:

Emille Masqueray (1843-1894) [1]

[1]http://etudescoloniales.canalblog.com/archives/2014/08/19/30441374html

الملحق رقم 03 :

خريطة منطقة القبائل وأهم قبائلها[1]

[1] محند اكلي ايت سوكي، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الاجتماعية من القرن 16م-20م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007، ص 183.

الملحق رقم 04:

حالة الفقر التي كان يعيشها القبائل جراء السياسة الاجتماعية الفرنسية في المنطقة[1]

[1] Decrescenzo (Jean) ,Chronique Tiziouziennes , p141 .

الملحق رقم 05:

توزيع سكان الأمازيغ في شمال إفريقيا[1]

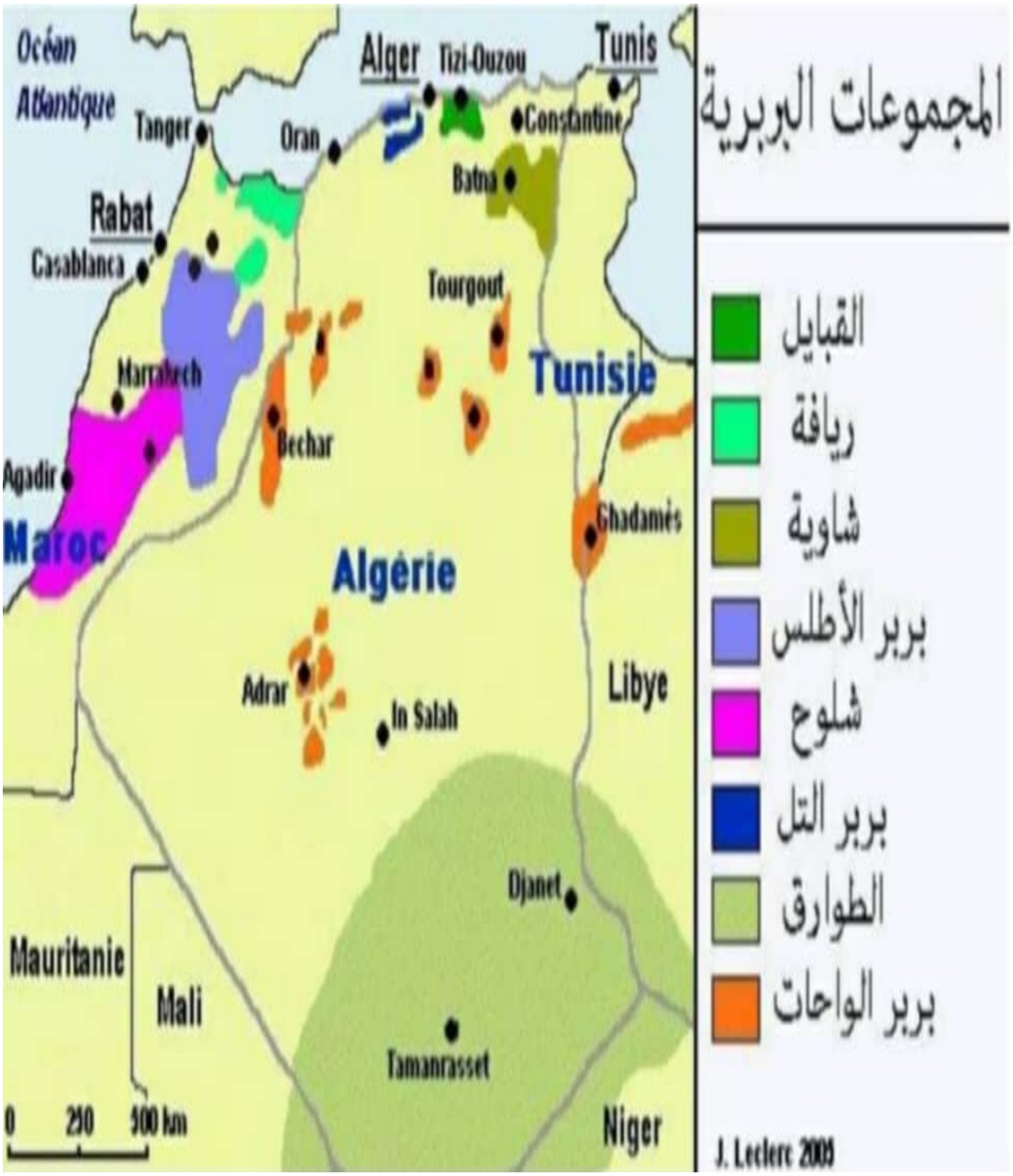

[1] فضيلة شبابحة: المسألة الأمازيغية الجزائرية والوحدة الوطنية، دراسة تحليلية للمشاريع والاستراتيجيات 1999م-2015م، أطروحة دكتوراه العلوم، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 03، 2020-2021، ص 292.

الملحق 06:

خريطة تبين إنتشار اللهجات الامازيغية في جغرافية الجزائر[1]

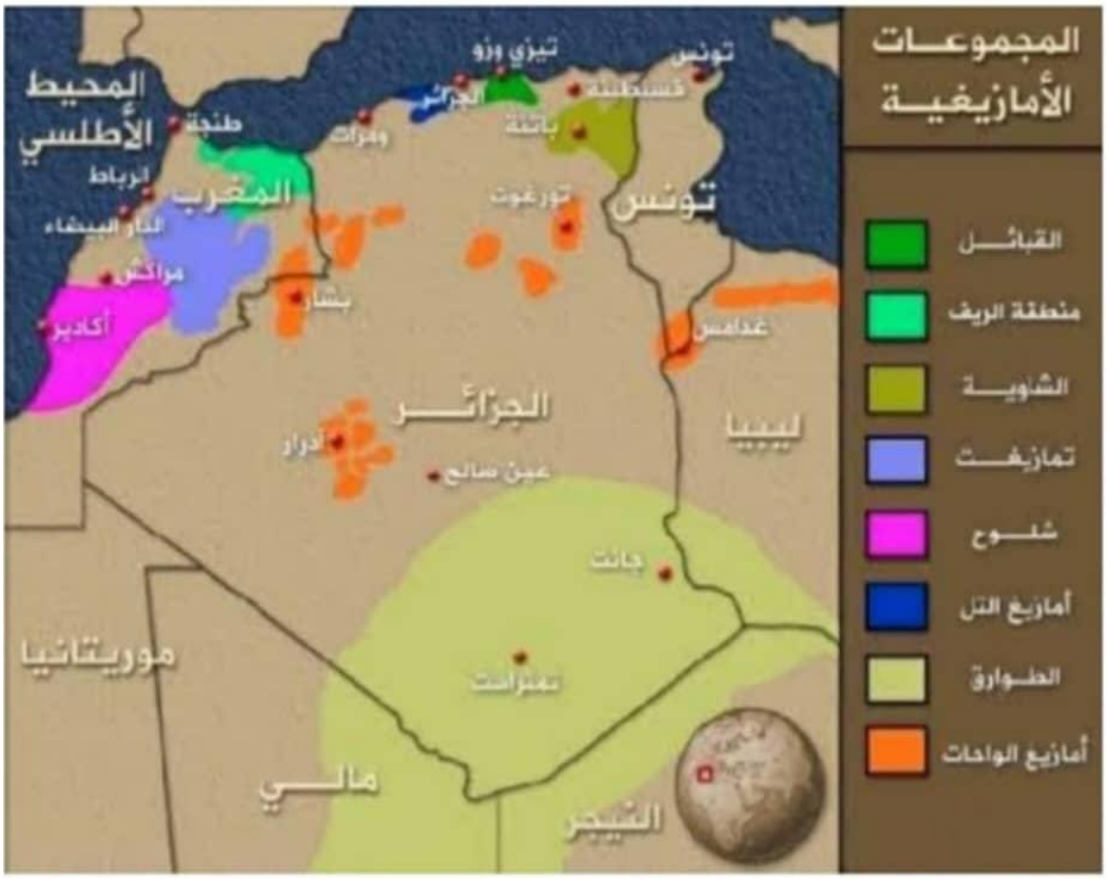

[1] فضيلة شابحة: المسألة الأمازيغية الجزائرية والوحدة الوطنية...، المرجع السابق، ص 295.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع :

.المصادر باللغة العربية :

1. أجيرون شارل روبير:المسلمون الجزائريون وفرنسا 1871م-1919م، ج01، ترجمة مسعود الحاج و مسعود أبكلي، طبعة وزارة المجاهدين، دار رائد للكتاب، الجزائر، 2012.

2- حمدان خوجة بن عثمان: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: د . محمد العربي زبيري، منشورات آناب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر ، 2006.

3- ناصري أحمد المكي: فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى،ط2، شركة بابل، الرباط د.س.

المراجع باللغة العربية:

1-أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.

2-(_____،_____): محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط03، 1982.

3-(_____،____): تاريخ الجزائر الثقافي،الجزء7،الطبعة1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1998

4- (____،____): تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900، المجلد ج 2 ، دار البصائر، الجزائر، 2007 .

5- بوعزة بوضرساية: سياسة فرنسا البربرية في الجزائر1830-1930م وانعكاساتها على المغرب العربي،دار الحكمة، 2010.

6-بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزء1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1965.

7-(_____،_____): الثورة في الولاية الثالثة1954-1962، دار الأمة، الجزائر،2004.

8-(_____،_____): سياسة التسلط الإستعمارى والحركة الوطنية الجزائرية، منشورات عويدات، لبنان، 1986.

9-بن أشنهو عبد اللطيف: تكون التخلف في الجزائر محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر 1830-1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

10- بلاح البشير: تاريخ الجزائر المعاصر (1830 -1989) ،الجزء 1 ، دار المعرفة ،الجزائر ،2006 .

11-بقداش خديجة: الحركة التبشيرية في الجزائر(1830-1954م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

12-جيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام ،ج4 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1983.

13-دراجي بوزيان: القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها وأعيانها،الجزء2،1، دار الكتاب للطباعة والترجمة والتوزيع، الجزائر، الطبعة 1، 1992.

14-حلوش عبد القادر: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر،الطبعة1، دار الأمة، الجزائر،1999.

15-حليمي عبد القادر: جغرافية الجزائر: طبيعية، بشرية، اقتصادية، مطبعة الشركة الجزائرية، الجزائر ، 1968.

16- طالب محمد نجيب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، 2002 .

17-كعاك عثمان: البربر، مؤسسة تامنغاست، د.س.ن.

18- مدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

19- مدني أحمد توفيق: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.س .

20- ميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، الجزء1، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1989.

21- ميلي محمد: ابن باديس وعروبة الجزائر، الجزائر، 2007.

22-نعمان بن أحمد: فرنسا والأطروحة البربرية الخلفيات، الأهداف،الوسائل والبدائل، الطبعة 2، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع، الجزائر، 1997.

23- سعدي عثمان: البربر الامازيغ عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ ، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع ، برج الكيفان ، الجزائر ،2018.

24- سعيدي مزيان: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان(1871.1914)،ج1، دار السبيل للنشر و التوزيع ، الجزائر، دت.

25-سي يوسف محمد: مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي، ثورة بوبغلة، دار الامل، للطباعة والنشر والتوزيع ، تيزي وزو ، 2000 .

26-عدي الهواري: الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830 - 1962، ترجمة: جوزيف عبد الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1983.

27-عميراوي حميدة: من تاريخ الجزائر الحديث ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2004.

28- عرباوي محمد مختار: البربر، عرب قدامى، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، المملكة المغربية، الطبعة 1993.

29- فراد أرزقي محمد: إطلالة على بلاد القبائل، دار الزيتونة ، د.ب.ن ،2007.

30-فرج محمد الصغير: تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى 1954 ، تع : موسى زموري ، مطبوعات ثالة،2007 .

31-فرحات عباس: ليل الاستعمار، تر: ريحال أبو بكر ، دار القصبة ، الجزائر،2005 .

32-قنان جمال: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، د.س

33- خطيب أحمد: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985.

34-غامبريل كامبه: البربر ذاكرة وهوية ، ترجمة عبد الرحيم حزل ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2014.

قائمة المراجع بالغة الأجنبية:

01-AGERON (CH,R), «La France a-t-elle eu Une Politique Kabyle?», in R H, 1964.

02-AGERON (Charles Robert), Les Algeriens Musulmans Et La France, T1, Arabes Et Kabyles, Paris SD.

03-Benali (Fekar) , « La Représentation Des Musulmans Algériens », BERT (Paul), Lettres De Kabylie, La Politique Algérienne, Paris, 1885.

04-BIBESCO (Prinse Napoléon), «Les Kabyles Du Djurdjura. La Société Kabyle Avant La Conquête Depuis La Conquête, La Pacification. De La Grande Kabylie Au Temps De La Régence D'Alger Et La Nationalite Kabyle Sous La Domination Française », In RDM, 1865-1866 (4 longs articles).

05-CAIX DE SAINT AMOUR, Questions Algérienne Carette ; Etudes Sur La Kabylie proprement dite 1853 (ouvrage cité auparavant).

06-CARETTE, Etude Sur Les OriginesEt Les Migrations

07-CARREY (Emile), Recits De Kabylie, La Conquete De 1857 (Edité en 1858).

08-Ch .A.Julien , Histiore de L'Algérie contemporaine (1827 – 1871) , Paris, P.U.F , 1964 .

09-Ch.Ageron :politique colonial au Maghreb p 109 .148,paris,1972.

10-Claude SCHURER ;La compagnie genevoise des colons suises de sétif ,in l'agenariste n 30 SD .

11-DAHMANI(Mohamed),Atlas Economique Et Social De La Grande Kabylie,P U F,Alger,1990.

12-DAUMAS (m) : et FABAR (m) : La grande Kabylie étude historique , paris, 1847 .

13-Des Principales Tribus Septentrionales D'Afrique Et Particulirement L'Algerie (1853).

14-DEVOULX ;Les édifices religieux de l'ancien Alger ,Alger 1870. Dounoit, paris , 1852 .

15-E. Charveniat ; A travers La Kabylie et les question kabyles , Paris , 1889.

16-EMERIT (Marcel), <<Le Probleme De La Conversion Des Musulmans D'Algerie Sous Le Second Empire, Le Conflit Entre Mac Mahon Et Lavigerie>>, In RH,T23, 1960,

17-Emile Masqueray », in RB n° 6 du 9 fev 1895.

18-Fanny Colonna , savants paysans , Eléments d'histiore sur l'Algérie .rurale, Alger ,O.P .U 1987 .

19-FICHEUR(e) ,Notice Géographique et Géologiques Sur La Kabylie,Ed Challamel,Paris,1892 .

20-FOURNEL (Henri), Les Berbères: Etudes Sur La Conquête De L'Afrique Par Les Arabes (2Volumes) 1875.

21-GABRIEL ESQUE R : la vie intellectuelle en Alger Simoum , N° 26, 6eme annèe S .D.

22-Général André , Contribution à l'étude des confréries religieuses musulmans, Alger ,Maison des Livres ,1956.

23-General Eu . Daummas , La societé bérbére in revue de l'Algerie et des colonies ,T . VII .1858 .

24-IBN KHALDOUN . HISTIORE DE BERBERES ET DES DYNASTIES MUSULMANES DE L'AFRIQUE SEPTENTRIONAL TRADITION DESLANE , BERTI, édition , ALGER, 2001 .

25-In R D M Janvier - Février 1909.

26-LAMARQUE (L) : LA KABYLIE, paris ,1845.

27-LAVIGERIE (ch, m), Œuvres Choisies, Lib Poussielgues,Paris, 1884, T1.

28-LE BARRON AUCAPITAINE, Le Pays Et La Societé Kbyle (1857)

30-Le glay,l'école française et la question berbere , direction générale de l'instruction publique , des beaux arts et des antiquités , rabat, 1921 .

31-LECLERQ, L'Afrique Chrétienne (2 Volumes) Paris 1903.

LECLERQ, L'Afrique Chrétienne (2 Volumes) Paris, 1903, Volume 01, L'Episcopat De Saint Cyprien (249-258) Volume 02, L'Episcopat De Liorel (jules) : Kabylie du Djurdjura,paris, Ernest Leroux éditeur,1898,14-morizot(j): l'Algérie kabylisée, cahiers de l'afrique et l'asie, editions j.peyronnet et cie, paris, 1962, p.233.

32-LIOREL(Jules): Kabylie de Djaurdjura ED Ervest Lepaux , Paris,1892 .

33-LIOREL (Jules), Kabylie De Djurdjura, Paris 1892.

34-Louis Boudiour : Les indigenes de l'Algeria , ch ,

35-LOUIS DE BOUDICOUR , les indegènes de l'Algerie : les turcs-les arabes les kabyles , ch MAHE(Alain),Histoire De La Grande Kabylie19eme_20eme siècles, Anthropologie Historique Du Lien Social Dans Les Communes Villageoises, Ed Bouhene, Paris, 2001.

36-MERCIER (Ernest), Les Indigènes De L'Algerie Leur Situation Dans Le Passé Et Le Présent, Paris 1884.

37-MORAND (Marcel), Etudes De Droit Musulman Et De Droit Coutumier Berbère, Ed Jourdan, Paris,

38-Morizot (j) :L'Algérie Kabylisée,cahiers de l'Afrique et l'Asie,edition j.peyronnet et cie ,paris . 1962 .

39-Ouhhim ouled brahim ,mission scientifique de masqueray dans dans l'Aurès ses dépendances (1875-1878) revue études et doucuments berbères , n°17 , paris , 1999.

40-Patricia . m .e. ;lorcin ,impérial stereotyping préjudice and race in colonial Algeria ,IB,Tauris&coltd,London-new York , &1999.

41-PELLISSIER (De Raynaud), Etat Actuel De L'Algerie (1863).

42-Philippe Antoy , Mission des Pères blances (Tunisie , Algérie , Sahara et Kabylie) ,Paris , éd , Dillin ,1930 .

43-RAMBAUD (Alfred), «Un Pionnier D'Afrique: Recherche Sur Les Origines Et Les Migrations Des Principales Tribus.

44-RENARD (Edmon), Le Cardinal Lavigerie, Ed Spes, Paris, 1926.

45-René LESPES ;atlas historique ,géographique ,économique de L'Algérie, édition horizon de France 1934.

46-ROBIN(Nil Joseph),<<Notes Historiques sur la Grande Kabylie de 1830.

47-Vontour de Paradis , Grammaire et Dictionnaire abrégés de la langue bérbére , Paris , imp , Royale WARNIER :L'Algerie Devant L'Empreur, 1865.

3.المقالات :

1- أحمد رضوان شرف الدين: القبائل: عودة الخرافة ، الشروق اليومي ع 204، الإثنين 17 ربيع الثاني 1422 هـ / 9 جويلية 2001 .

2- بوموزو عز الدين: الأزمة البربرية لسنة -1949-في تقرير سري للبوليس الفرنسي The Berber Crisis of 1949 in a Secret Report of the French Police، مجلة الدراسات التاريخية ،م13، ع2،جامعة قسنطينة2عبد الحميد مهري،2022.

3- جنحاني الحبيب: حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر،ع 16، الاصالة، 1976.

4- زيان عبد الوهاب: الجزائر والهوية الامازيغية ، مجلة المعارف ، جوان 2010 .

6_ حسن بويعقوبي : المعرفة السلطة في السياق الكولونيالي بالمغرب والجزائر ، مجلة دراسات الامازيغية ، ع2، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة إبن الازهر ، المغرب ، 2018 .

7- مقورة مفيدة: اللغة الامازيغية في الجزائر، دراسة في سياسات الترسيم وتأثيرها في مسار استكمال الهوية الوطنية، جامعة قسنطينة 3 ، 2018 .

8- سعيدوني نصر الدين: المسألة البربرية في الجزائر ،مجلة عالم الفكر، ،م32 ، ع ،2004 .

9_سعيدوني نصر الدين: المسألة الثقافية في الجزائر: النخب-الهوية-اللغة (دراسة تاريخية نقدية) ، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية ،ط 1، الجزائر ، 2021 .

10_عسوس عمر: أزمة الهوية لدى البربر في الجزائر، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية،ع6، نوفمبر 2010.

11_فراد أرزقي: تاريخنا وأقلامهم: الجنرال أو دلف هانوتو وطبائع زواوة ، الشروق اليومي، ع 2330 ليوم الأربعاء 27 رجب 1429هـ / 30 جويلية 2008 (الدراسة في حلقتين)

12- قدون الحسان بن ابراهيم: اثر الإستشراق في بروز القوميات العرقية في الامة القومية الامازيغية ، بحوث مؤتمر الإستشراق ماله وما عليه ،كلية العلوم والاداب بالرس ، أيام 24-16\12\2016 ، المملكة العربية السعودية .

الرسائل الجامعية:

1_ برقية عبد الحميد: الإستشراق الفرنسي للجزائر 1879-1962 دراسة تاريخية فكرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في الطور الثالث ، شعبة التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية ، جامعة 08 ماي 1945 ، قالمة ، 2022\2021 .

فهرس الدراسة

فهرس الدراسة:

مقدمة:..... 2

الفصل الأول:

ملامح ظهور الأزمة البربرية في الجزائر ومنطقة القبائل.

المبحث الأول: السياق التاريخي لمنطقة القبائل. 8

1.أصل تسمية البربر. 8

2.أصل البربر : 11

المبحث الثاني: الخلفية التاريخية لمنطقة القبائل وأهميتها الثقافية والجغرافية في الجزائر 13

1. الخصائص الجغرافية للمنطقة 13

2. أهميتها الثقافية : 19

3.أوضاع منطقة الزواوة قبل 1857. 24

الفصل الثاني:

الأسطورة القبائلية بين النشأة والتفعيل:

1–الأسطورة عند السياسيين:..... 36

2–الأسطورة عند العسكريين: 44

3–الأسطورة عند رجال الدين: 49

4–الأسطورة في متون الدراسات البربرية(Etudes Bèrbères):..... 55

الفصل الثالث :

مساهمة الإدارة الفرنسية في التأسيس للإيديولوجية البربرية بمنطقة القبائل .

المبحث الأول:الأدبيات الفرنسية التي تناولت المسألة البربرية..... 61

1. مفهوم المسالة البربرية من خلال الأدبيات الفرنسية. 61

2. المسألة البربرية كفكرة استعمارية (بداية المسألة البربرية في الجزائر): 69

المبحث الثاني : تطور المسالة البربرية في الجزائر 74

1 .أسباب المسألة البربرية..... 74

2.أهداف المسالة البربرية : 76

الفصل الرابع :

انعكاسات المسألة البربرية على المجتمع القبائلي والجزائري .

المبحث الأول : الأدبيات الفرنسية التي تناولت المسألة البربرية 81

1. توظيف الأدبيات والدراسات الفرنسية بمنطقة القبائل 81

2. رد فعل سكان المنطقة على الإستعمار الفرنسي:..... 88

المبحث الثاني : آثار المسألة البربرية على منطقة القبائل وعلى الجزائر 95

1 .على المجتمع القبائلي : 95

2. على المجتمع الجزائري :..... 101

خـاتمـة: 105

الملاحق:..... 110

قائمة المصادر والمراجع:..... 117

فهرس الدراسة..... 125

الملخص:

تعتبر المسألة البربرية واحدة من بين المسائل الشائكة والمعقدة في مجتمعات المغرب العربي عامة والجزائر خاصة، حيث خلفت جدلا كبيرا في أوساط المجتمع الجزائري لا زالت أصدائها تتراء إلى اليوم، من تجاذبات سياسية وعلمية وثقافية...الخ، وتعود جذور هذه المسألة إلى فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر(1830م-1962م)، الذي كان له دور كبير في تكوين وغرس النزعة البربرية في منطقة القبائل(زواوة)، وقد استغل هذا المستدمر الفجوة الايديولوجية الموجودة بين التيار العربي المنادي باعتبار الجزائر عربية إسلامية وبين التيار البربري المنادي بالجزائر جزائرية، لتعرف هذه المسألة تطورا ملحوظا خلال فترة الاحتلال، وما صاحبها من مخططات فرنسية جهنمية.

لذلك رأت فرنسا ضرورة التركيز على منطقة القبائل(زواوة) بمختلف الوسائل لنشر النزعة البربرية فعملت على نشر التفرقة بين العرب والبربر، نشر التعليم الفرنسي بدل التعليم العربي لمحاولة خلق مجتمع ذو ثقافة فرنسية، في محاولة منها لتفكيك الهوية الإسلامية الموحدة، وإضعاف الإسلام وطمس معالمه الثقافية والدينية بما فيها اللغة العربية. قد شارك في هذا المشروع البربري كل من القادة العسكريين ورجال الدين و المستشرقين...الخ.

ABSTRACT:

The Berber question is one of among the thorny and complex issues in the societies of the Maghreb in general and Algeria in particular. It has caused a great deal of controversy in Algerian society, The issue of Berberization is one of the thorniest and most complex issues in Maghreb societies in general and Algeria in particular, The roots of this issue go back to the period of the French occupation of Algeria (1830-1962), which had a major role in the formation and inculcation of Berberism in the Kabylia region (Zawawa), This colonizer exploited the ideological gap between the Arab current that advocates, Arab-Islamic Algeria and the Berber movement calling for an Algerian Algeria, This issue witnessed a remarkable development during the occupation period, and the accompanying French schemes hellish schemes.

Therefore France saw the need to focus on the Kabylia region (Zawawa) by various means to spread Berberization. It worked on spreading the division between Arabs and Berbers, spreading French education instead of Arabic education to try to create a society with a French culture, in an attempt to dismantle the unified Islamic identity, weaken Islam and obliterate its cultural and religious features, including the Arabic language. Military commanders, clerics, orientalists, etc. participated in this barbaric project.

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University Mohamed EL Bachir EI Ibrahimi of Bordj Bou Arréridj

Facultyof Humanities and Social Sciences

Department of History

Serial Number: .....

Registration Number: .....

The Berber Question in French Colonial Literature and Its Impact on the Fragmentation of Algerian Society – The Case of the Greater Kabylia Region (1830–1930)

A thesis submitted for a Master's in the history of the Algerian resistance and national movement (1830-1954)

Presented by:

- Ines Khelif

-Salima Djendi

The Supervisor:

Amar Djebri

Board of Examiners:

Name and Surname	Scientific Level	Rank
Prof. Said Ali Ahmmed Messaoud	**Professor of Higher Education**	Chairperson
Dr. Djebri Amar	**Lecturer professor A**	Supervisor and Rapporteur
Dr. Sammari Boubaker	**Lecturer professor** B	**Discussing Member**

College year:2024-2025